محمد ابراهيم مصطفى
(أبو إسلام)

عَـرَفْـتُ اللّـهَ فَأَحْـبَبْـتُـهُ !!

فَاعْرِفُوهُ .. تُحِبُّوهُ

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

تُطْلَبُ الْكُتُبُ مِنْ مَكْتَبَةِ وَهْبَه ١٤ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة ٣٩١٧٤٧٠
أو من المؤلف : ١٧ ش عبد العزيز جاويش - المهندسين ت ٣٠٢٨٣٨٩ - ٣٠٥٢٤١٦ موبايل : ٠١٠١٤٦٧٠٣٩

الإهــــداء

إلى الحائرين والذين ضلّوا الطريق .
وإلى الذين لا يعرفون العدوَّ من الصديق .
وإلى الذين يلوِّثون بالسمومِ هواءَ الزفيرِ والشهيق .
وإلى الذين صاروا للدنيا مجرّدَ عبيدٍ ورقيق .
وإلى من يُسيلُ دماءَ الأبرياءِ ويُريق .
وإلى من تخدعُه الدنيا باللهوِ والبريق .
وإلى من خدعَه الحبُّ الكاذبُ ويبحثُ عن الحبِّ الحقيق .
وإلى من يسمعُ القرآنَ ولا يتدبرُه بتأمّلٍ دقيق .
وإلى الطامعين في الجنّةِ والنجاةِ من عذابِ الحريق .
وإلى الذين تمتلئُ صدورُهم باليأسِ وتضيق .
أهدي كتابي لعلّه يُخرجُهم من الهمِّ والضيق .
ويكونُ لهم في رحلةِ القراءةِ أفضلَ رفيق !!..

الكاتب



المقـــدمـــة

أيها القراءُ الأعزاءُ .. أرجو ألاّ تستهينوا بموضوعاتِ هذا الكتابِ ، وألاّ تنظروا إليه كما تنظرون إلى غيرِه من كتبِ الوعظِ والإرشادِ ، التي تَذْكُرُ المعتادَ من العظاتِ .. فإن ما في هذا الكتابِ إنما هي خلجاتُ عبدٍ من العبادِ ، الذين أنعمَ اللهُ عليهم بنعمةِ الإحساسِ والإدراكِ لنعمِ اللهِ ، وتذوَّقَ سعادةَ حبِّ اللهِ فزهدَ الدنيا وما بها ، واشتاقَ إلى الجنّةِ وما فيها .. فاقرأوا وتمعّنوا ، لعلَّ اللهَ يمنُّ عليكم فتحسّوا بما أحسستُ ، وتتذوّقوا ما تذوّقتُ !!..

يا من حيّرتْكم الدنيا وأرهقتكم ، وعن طريقِ اللهِ أخذتْكم وأبعدتْكم ، فعشتم تائهين وما زلتم ، هذه دعوةٌ من أخٍ لكم ، يُخلصُ ويصْدُقُ النصحَ لكم ، عرفَ الطريقَ الصحيحَ ، وتذوّقَ الإحساسَ المريحَ ، الذي يُنْسيه الزوابعَ وهبوبَ الرّيحِ .. وهداه اللهُ لأن يعيشَ في معيّةِ اللهِ ، فوجدَ فيها سعادتَه وهناه .. ومن تذوّقَ حبَّ اللهِ ، هان أمامَه كلُّ شيءٍ سواه .. وكما هداني اللهُ إلى صحيحِ الطريقِ ، أرجوه تعالى أن يهديَ كلَّ قريبٍ أو زميلٍ أو صديقٍ .

لقد جرّبتُ الانشغالَ بالدنيا وما فيها من مباهجَ ، فعرفتُ أنني أخطأتُ الطريقَ والمناهجَ .. وفي كتابِ اللهِ كانت هدايتي .. وبمحبةِ اللهِ صحّحتُ عبادتي .. ووجدتُ فيها قناعتي وسعادتي ، والحمدُ والشكرُ للهِ ، الذي لم يصبحْ لي حبيبٌ سواه .. فأنعمَ عليَّ بحبِّ الناسِ وأكرمني ، ولفعلِ الخيراتِ والصالحاتِ ألهمني .. وكلما تقرّبتُ إليه ، أحسستُ بالسعادةِ وأنا بين يديْه ... وبلطفه الكبيرِ يُكرمُني ، وبكثيرٍ مما يخفَى عني يُعْلمُني .. ويرشدُني إلى السليمِ من الطريقِ .. ويكفيني شرَّ العدوِّ والصديقِ .. وعندما نظرتُ إلى نفسي كما أمَرَني .. أيقنتُ أنه أبدعَ حين خلقَني .. فالعينُ التي تنظرُ

وتغمضُ ، والقلبُ الذي يدقُّ وينبضُ ، واليدُ التي تبسطُ وتقبضُ ، والعقلُ الذي يفكّرُ ويدقّقُ ، واللسانُ الذي بالكلماتِ ينطقُ ، والفمُ الذي يطحنُ الطعامَ ويفرمُه ، والمعدةُ التي تستقبلُه وتهضمُه .. والدمُ الذي يمتصُّ أنقى الطعامِ والهواءَ ويؤكسجُه .. والأمعاءُ التي تأخذُ الفاسدَ من الطعامِ وتُخرجُه .. هذه الأجهزةُ التي أتقنَ الخالقُ صُنعَها ، والتي لا نسطيعُ دفعَها ولا منعَها .. والأعصابُ ، والعضلاتُ التي تحمينا أثناءَ نومِنا ، ودون أن ندريَ تدفعُ الأذى عن أجسادِنا .. فإذا تأملْنا بعقولِنا هذه النعمَ .. التي تعملُ بأمرِ اللهِ ، منذ الميلادِ وحتى الشيخوخةِ والهَرَمِ .. ألا يدفعُنا هذا التأملُ إلى أشدِّ الندمِ ، ونستحي من اللهِ عظيمِ الكرمِ ؟!.. فنعودُ ونتوبُ إليه ، ونعبدُه ونتوكّلُ عليه .. وتأملوا وأنتم تعقلون ، قولَه تعالى : [وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ] ٢١ الذاريات • فإذا عرفتَ أيها القارئُ بعونِه فضلَه ، فسيأسِرُك الحبُّ له .. وتتذوّقُ حلاوةَ حبِّه كما تذوّقتُ ، وتتشوّقُ إلى لقائه كما تشوّقتُ .. وستزهدُ الدنيا بما فيها ، ولن تُلهيَك ملاهيها .. وستنعمُ بما ينعمُ به الأبرارُ ، وعسى اللهُ أن يجعلَنا وإيّاك في الآخرةِ من الأخيارِ !!..

أخوك في حبِّ اللهِ
محمد ابراهيم مصطفى
(أبو إسلام)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم



لا تقنطوا من رحمةِ اللهِ !!..

انظرْ أيها القارئُ إلى أي مدى بلغتْ رحمةُ الله تعالى بعباده ، في قوله تعالى : [قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ . إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا . إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] * ٥٣ الزمر *

عن ابنِ عمرَ عن عمرَ قال : لما اجتمعنا على الهجرةِ ، اتّفقتُ أنا وهشام بن العاصي وعيّاش بن أبي ربيعة ، فقلنا : الموعدُ (أضاةُ بني غفارٍ) وقلنا : من تأخَّرَ منا فقد حُبِسَ ، فلْيَمْضِ صاحبُه .. فأصبحتُ أنا وعيّاش ، وحُبِسَ عنا هشامُ ، وإذا به قد فُتِنَ فافتتنَ ، فكنا نقولُ بالمدينة : هؤلاء قد عرفوا اللهَ عزَّ وجلَّ وآمنوا برسوله صلى اللهُ عليه وسلم ، ثم افْتُتِنُوا لبلاءٍ لَحِقَهم لا نرى لهم توبةً ، وكانوا هم أيضًا يقولون هذا في أنفسِهم ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه : [قُلْ يَا عِبَادِيَ ...] قال عمرُ : فكتبتُها بيدي وبعثتُها إلى هشامٍ ، قال هشامُ : فلما قَدِمَتْ عَلَيَّ خرجتُ بها إلى ذي طوى ، فقلتُ : اللهم فهّمنيها ، فعرفتُ أنّها نزلتْ فينا ، فرجعتُ ولحقتُ برسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم .. وعن ابنِ عباسٍ قالَ : كان قومٌ من المشركين قَتَلُوا فأكثَروا ، وزَنَوْا فأكثَروا ، فقالوا للنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم : أوْ بَعَثُوا إليه : إن ما تدعو إليه لحسَنٌ ، أوَ تُخبرُنا أن لنا توبةً ؟ فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ [قُلْ يَاعِبَادِيَ ....] ، وعن ابنِ عباسٍ أيضًا أنّها نزلتْ في أهلِ مكةَ ، قالوا : بزعمِ محمدٍ أن من عَبَدَ الأوثانَ وقتَلَ النفسَ التي حرّم اللهُ لم يُغفَرْ له ، وكيفَ نُهاجرُ ونُسْلِمُ ، وقد عبدْنا مع اللهِ إلهًا آخرَ ، وقتلْنا النفسَ التي حرَّمَ اللهُ ، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ .. وقيل إنّها نزلتْ في قومٍ من المسلمين أسرفوا على أنفسِهم في العبادةِ وخافوا ألاّ يُتَقَبَّلَ منهم لذنوبٍ سبقَتْ لهم في الجاهليةِ . وقال ابنُ عباسٍ أيضًا : نزلتْ في (وَحْشِيّ) قاتلِ حمزة ، لأنه ظنَّ أن

الله لا يقبلُ إسلامَه ، فذهبَ إلى محمدٍ صلى الله عليه وسلم وقالَ له : يا محمدُ أتيتُك مستجيرًا فأجِرْني حتى أسمعَ كلامَ الله ، فقال الرسولُ الكريمُ :(قد كنتُ أُحبُّ أن أراكَ على غيرِ جوارٍ فأمّا إذ أتيتَني مستجيرًا فأنت في جواري حتى تسمعَ كلامَ الله) ، قال حبشيٌّ : فإني أشركتُ بالله وقتلتُ النفسَ التي حرَّمَ اللهُ وزَنَيْتُ ، فهل يقبلُ اللهُ مني توبةً ؟ فصمتَ الرسولُ الكريمُ حتى نزلتْ : [وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلاَّ مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا] ° ٦٨ – ٧٠ الفرقان ° ، فتلاها عليه ، فقال : أرى شرطًا فلعلّي لا أعملُ صالحًا ، أنا في جوارِك حتى أسمعَ كلامَ الله ، فنزلتْ :[إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ]° ٤٨ النساء ° فدعا به فتلاها عليه ، فقال : فلعلّي مِمَّنْ لا يشاءُ . أنا في جوارِك حتى أسمعَ كلامَ الله ، فنزلتْ :[قُلْ يَا عِبَادِيَ ...] فقال : نعم ، الآن لا أرى شرطًا ، فأسلمَ .

وقد عرَّفَ اللهُ تعالى من شاءَ أن يغفرَ له ، وهو التائبُ أو من عملَ صغيرةً ولم تكنْ له كبيرةٌ ، والدليلُ على أنه يقصدُ التائبَ ، ما جاء بعده في قوله تعالى : [وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ] أي ارجعوا إلى ربِّكم ، فالتائبُ مغفورٌ له ذنوبُه جميعًا ، ويدلُّ على ذلك قولُه تعالى : [وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ] ° ٨٢ طه ° وقال عَليّ بن أبي طالبٍ : ما في القرآنِ آيةٌ أوسعُ من هذه الآيةِ : [قُلْ يَا عِبَادِيَ .....] وقال عبدُ الله بنُ عمرَ : وهذه أرجى آيةٍ في القرآنِ .. فردَّ عليهم ابنُ عباسٍ وقال : أرجى آيةٍ في القرآنِ قولُه تعالى : [وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ] ° ٦ الرعد ° أي أن الله تعالى لذو تجاوزٍ عن المشركين إذا آمنوا ، وعن المذنبين إذا تابوا .. وعن سعيدِ بن المسيّبِ قال :

لما نزلت[وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُومَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ]
قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : (لولا عفوُ الله ورحمتُه لما هَنَأَ أحدًا عَيْشٌ ولولا عقابُه ووعيدُه لاتّكَلَ كلُّ أحدٍ) .

أرأيتَ أيها القارئُ إلى أي مدى بلغتْ سعَةُ رحمةِ اللهِ بعبادِه ؟!.. يريدُ اللهُ تعالى أن يُطَمْئِنَ عبادَه المذنبين أو العاصين إلى أن أبوابَ رحمتِه مفتوحةٌ لمن يرجعُ إلى اللهِ تائبًا ، وأنه سبحانه توّابٌ وغفّارٌ لجميعِ الذنوبِ لمن يشاءُ ما دامتْ دون الشركِ به !!..

فاغتنمْ أيها القارئُ فرصةَ رحمةِ ربك ومغفرتِه ، وتُبْ إلى اللهِ وارجعْ إليه ، ولا تيأسْ من غفرانِه . . فهو سبحانه يؤكّدُ مغفرتَه للناسِ مهما كان ظلمُهم ، بوسيلتين للتوكيدِ في قولِه : [إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ] بأداة التوكيدِ (إنَّ) وبحرفِ اللامِ في كلمةِ (لَذُو) .

ويمكنُك أيها القارئُ أن تحظى بشكرِ اللهِ ومغفرتِه لك ، بإماطةِ الأذى عن الطريقِ .
فالرسولُ الكريمُ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ : (إماطةُ الأذى عن الطريقِ صدقةٌ)
وعن أبي هريرة رضي اللهُ عنه عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال : (بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ فوجد غصنَ شَوْكٍ على الطريقِ فأخّرَه فشكرَ اللهُ له وغفرَ له)

ويُطمئنُك الرسولُ الكريمُ بأن من لا يُشركُ باللهِ يدخلُ الجنّةَ .. فعن أبي هريرة عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال : (أتاني جبريلُ عليه السلامُ فقال : من ماتَ من أمّتِك لا يُشركُ باللهِ شيئًا دخلَ الجنّةَ . قلتُ : وإن فعلَ كذا وكذا قال نعم) !!..

ما أكرمَك وما أرحمَك وما أوسعَ أبوابِ رحمتِك ومغفرتِك يا اللهُ .. يا أعزَّ من نُحبُ ، ويا من تربّعَ عِشْقهُ في سويداءِ القلبِ !!..

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ !!..

يا من تربّعَ حبُّه في قلبي ، صدقتَ يا ربي ، فقولُك الحقُّ والصّدقُ : [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِين هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ] ° ١٥٦ الأعراف °

والمعنى أن رحمةَ الله لا نهايةَ لها ، وقد وسِعَتْ كلَّ شيءٍ من الخلقِ ، حتى أن البهيمةَ لها رحمةٌ وعطفٌ على ولدها ، حتى ولو كانت من الوحوشِ الكاسرةِ .. وهذه الرحمةُ الإلهيةُ التي أنزلَها اللهُ تعالى على مخلوقاتِه هي بنسبةِ واحدٍ في المائةِ من رحمةِ الله العامّة .. وعن سَلْمَان عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قال : (إن اللهَ عزّ وجلّ خلقَ مائةَ رحمةٍ فمنها رحمةٌ يتراحمُ بها الخلقُ ، فبها تعطفُ الوحوشُ على أولادِها ، وأخَّرَ تسعةً وتسعين إلى يومِ القيامةِ) .. وقد طمعَ في هذه الآيةِ كلُّ شيءٍ ، حتى إبليس ، فقال : أنا شيءٌ ، فقال اللهُ تعالى : [فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ].. فقالت اليهودُ والنصارى : نحن متّقون ، فقال اللهُ تعالى : [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ] ° ١٥٧ الأعراف ° ، وبذلك خرجتْ الآيةُ عن العمومِ ، والحمدُ لله ، وعن ابنِ عباسٍ قال : كَتَبَهَا اللهُ عزّ وجلّ لهذه الأمّة .

ويقولُ تعالى : [الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ] ٧ غافر ° .. ومعنى : يستغفرون للذين ءامنوا .. أي يسألون لهم المغفرةَ من الله تعالى .. وقال ابراهيمُ النّخعيّ : وكانوا يقولون لا يحجبون الاستغفارَ عن أحدٍ من أهلِ القبلةِ .. وقال مطرفُ

ابنُ عبدِ الله : وجدنا أنصحَ عبادِ الله لعبادِ الله الملائكةَ ، ووجدنا أغشَّ عبادِ الله لعبادِ الله الشيطانَ ، وتلا هذه الآيةَ : [الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ....] وقال يحيى بن معاذ الرّازيّ لأصحابه في هذه الآية : افهموها ، فما في العالَمِ جُنّةٌ أرجَى منها ، إن مَلَكًا واحدًا لو سألَ اللهَ أن يغفرَ لجميعِ المؤمنين لغفرَ لهم ، فكيف وجميعُ الملائكةِ وحَمَلَةُ العرشِ يستغفرون للمؤمنين .. وقال خلفُ بن هشام البزار : كنتُ أقرأ على سليم بن عيسى ، فلما بلغتُ [وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا] بكى ، ثم قال : يا خلف ، ما أكرمَ المؤمنِ على اللهِ ، نائمًا في فراشه ، والملائكةُ يستغفرون له !!..

ما أكرمَك وما أرحَمك يا ربَّنا .. أتُسَخِّرُ جميعَ الملائكةِ وحملةَ العرشِ لكي يستغفروا لنا ؟!.. ونحن لك عاصون ، وفي طاعتك مقصّرون .. واللهِ يا ربِّي إننا لنستحي من كرمِك اللا محدودِ ، ورحمتك التي بلا حدودٍ ، وإمهالِك الممدودِ .. إذ كيف ندعوك ونحن العصاةُ المذنبون .. وكيف لا ندعوك وأنت الكريمُ الحنونُ ؟!!..

إلاّ اللَّمَم !!..

هذه فرصةٌ أخرى أيها القارئُ لتعرفَ اللهَ حقَ المعرفةِ ، ولتدركَ مدى رحمته بنا ، وسعةَ مغفرته لنا ، فيملأُ حبُّه قلبَك ، ويسكنَ الإيمانُ صدرَك وجنبَك ، فتطمئنَ إلى عفوه وغفرانه ، وتأملَ في رحمته وإحسانه .

قد يحدثُ لك يا أخي أن ترتكبَ من المعاصي والذنوب ، ما يجعلُك تيأسُ من المغفرةِ مهما تتوبُ .. ولو تأملتَ معانيَ الآياتِ الآتياتِ ، لَحَسُنَ ظنُك باللهِ مهما ارتكبتَ من السيئاتِ !!..

يقولُ اللهُ تعالى : [الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ . إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ، هُوَأَعْلَمُ بِكُم إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ، فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى] ٣٢ النجم .

قولُه تعالى : [الَّذيَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ] هذا وصفٌ للمحسنين ، أي هم لا يرتكبون كبائرَ الإثم وهو الشرْك ، لأنه أكبرُ الآثام .. و (الْفَوَاحِشَ) كلُّ ذنبٍ فيه الحدُّ ، كالزِّنى .. و (إِلاَّ اللَّمَمَ) وهي الصغائرُ التي لا يسلمُ من الوقوعِ فيها إلاّ من عَصَمَهُ اللهُ وحَفِظَه .. وقال أبو هريرةَ وابنُ عباسٍ والشعبيُّ : (اللَّمَم) كلُّ ما دون الزنى .. وذكر مقاتلُ بن سليمانَ : أن هذه الآيةَ نزلتْ في رجلٍ كان يُسمَّى (نبهان التمّار) وكان له حانوتٌ يبيعُ فيه التمرَ ، فجاءته امرأةٌ تشتري منه تمرًا ، فقال لها : إن داخلَ الدكّان ما هو خيرٌ من هذا ، فلما دخلتْ راودَها عن نفسِها فأبَتْ وانصرفتْ ، فندم (نبهانُ) ، فأتى رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فقالَ : يارسولَ اللهِ ، ما من شيءٍ يصنعُه الرجلُ إلاّ فعلتُه إلاّ الجماعَ ، فقال :

(لعلّ زوجَها غازٍ) فنزلت هذه الآيةُ .. وقال بنُ مسعودٍ وأبو سعيدٍ الخدريّ وحذيفةُ ومسروقٌ : إن اللممَ ما دون الوطءِ ، من القُبْلَةِ والغمزةِ والنظرةِ والمضاجعةِ .. وعن عبدِ الله بنِ مسعودٍ قال : زنى العينين النظرُ ، وزنى اليدين البطشُ ، وزنى الرِّجْلين المشيُ ، وإنما يصدِّقُ ذلك أو يكذِّبُه الفَرْجُ ، فإن تقدّمَ كان (زنىً) ، وإن تأخّرَ كان (لَمَمًا) ، والمعنى : أن الفاحشةَ العظيمةَ والزنى التامَّ المُوجبَ للحدِّ في الدنيا ، والعقوبةِ في الآخرةِ هو الفَرْجُ ، وغيرُه له حظٌّ من الإثمِ ، واللهُ أعلمُ .. وعن بنِ عباسٍ في قولِه تعالى : (إلاَّ اللَّمَمَ) قال : هو أن يُلِمَّ العبدُ ثم لا يُعاودُه .. وعن الزهريّ قال : (اللمم) أن يزنيَ ثم يتوبَ فلا يعود ، وأن يسرقَ أو يشربَ الخمرَ ثم يتوبَ فلا يعود .. ودليلُ هذا التأويلِ قولُه تعالى :[وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ] • ١٣٥ آل عمران • ثم قال :[أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ] • ١٣٦ آل عمران • ، فضمنَ لهم المغفرةَ .. ثم قال تعالى : [إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ] ، فعلى هذا التأويلِ يكونُ (إلاَّ اللَّمَمَ) استثناءً متصلاً .. واللممُ ما دون الشركِ .. وقيل : اللممُ الذنبُ بين الحدَّيْن ، وهو ما لم يأتِ عليه حدٌّ في الدنيا ، ولا توعّدَ عليه بعذابٍ في الآخرةِ ، تكفّرُه الصلواتُ الخمسُ ما لم يبلغِ الكبائرَ والفواحشَ .. والوجهُ الآخرُ هو الذنبُ العظيمُ ، يُلِمُّ به الإنسانُ المرَّةَ بعد المرّةِ فيتوبُ منه .. و[إِنَّ رَبَّكَ لَوَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ] لمن تابَ من ذنبه واستغفرَ ، وقال أبو ميسرةَ عمرُو بن شرحبيل ، وكان من أفاضلِ أصحابِ بنِ مسعودٍ : رأيتُ في المنامِ كأني دخلتُ الجنّةَ ، فإذا قِبابٌ مضروبةٌ (أي مبنيةٌ) فقلتُ : لمن هذه ؟ فقالوا : لذي الكلاعِ وحَوْشب ، وكانا ممن قتلَ بعضُهم بعضًا ، فقلتُ : وكيف ذلك ؟.. فقالوا : إنّهما لقيا اللهَ فوجداه واسعَ المغفرةِ ، فقال أبو خالد : بلغني أن (الكلاعَ) أعتقَ اثني عشرَ ألف بنتٍ .

اللهم اغفرْ لنا ما وقعْنا فيه من اللَّمَمِ ، يا واسعَ المغفرةِ ، يا عظيمَ الكَرَمِ .

ما أكرمَك يا ربي وما أرحمَك وما أوسعَ مغفرتِك .. وكأن الحسناتِ يُذهِبْنَ السّيئاتِ .. وفي كلِّ هذه الصورِ دعوةٌ مفتوحةٌ لعبادِ الله ، ليتوبوا ويعودوا إلى اللهِ ، فيتقبّلَهم ، ويغفرَ لهم ، ويبدّلَ سيّئاتِهم حسناتٍ ، ويُدْخِلَهُم النعيمَ والجنّاتِ ..

مَنْ بِهذا الفضلِ يشملُنا غيرُ الله ؟ .. ومن بِهذا الحبِّ والعطفِ يحيطُ بنا سِواه ؟ .. أليس اللهُ بعد كلِّ ذلك جديرًا بحبِّنا ، وأن يكونَ ذِكْرُهُ دائمًا على ألسنتِنا ، ويكونَ عِشْقُهُ بقدْرِ فضلِه في قلوبِنا ؟؟!! ..

الوثيقةُ الإلهيةُ للتأمينِ

يلجأ بعضُ الناسِ إلى شركاتِ التأمينِ ، للتأمينِ على حياتهم بمبالغَ كبيرةٍ ، ويدفعون أقساطًا شهريةً طوالَ فترةِ التأمينِ وذلك ضمانًا للمستقبلِ (كما يقولون) ، أو ليتركوا ما يؤمِّنُ المستقبلَ لأولادِهم وزوجاتهم ، ونسيَ هؤلاء الناس أن المستقبلَ بيد اللهِ سبحانه وتعالى ، والرزقَ أيضًا مُقَدَّرٌ في علمِ اللهِ وسواءً كانت هناك (بوالصُ) للتأمينِ ، أو أموالٌ مودعةٌ في البنوكِ ، فالرزقُ مكفولٌ ومضمونٌ بأمرِ اللهِ ، لن ينقصَ ولن يزيدَ .. ويقول تعالى : [أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا. وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ] • ٣٢الزخرف • إذن ، فليطمئن كلُّ إنسانٍ على أن رزقَه سيأتيه ، مهما كان أسلوبُ عمله ونوعُه ، ومهما كان مركزُه ومنصبُه ، ومهما كانت صحتُه وقدرتُه .. وليس معنى ذلك أن نتكاسلَ أو نتواكلَ ولا نعملَ ، بل علينا أن نعملَ ونجتهدَ قدرَ استطاعتنا ، ثم نتركَ الأمرَ بعد سعينا لله ربِّنا ، ويقولُ اللهُ تعالى :[وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ . وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] • ١٠٥ التوبة • ولْنَثِقْ في اللهِ ونحسنِ الظنَّ به .. فاللهُ خلقَ برحمته أرزاقَنا قبل أن يخلقَ أرواحَنا ، ودبَّرَ الأقواتَ لجميعِ المخلوقاتِ .. فقال تعالى : [وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ]• ٦٠ العنكبوت• وقال تعالى: [وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ] •٦ هود • والمعنى أن اللهَ تعالى يرزقُ الجميعَ ، والدّابةُ كلُّ حيوانٍ يدبُّ ، والرزقُ هو ما يتغذّى به الحيُّ ، ويكونُ فيه بقاءُ روحِه ونماءُ جسدِه ، ولا يجوزُ أن يكونَ الرزقُ بمعنى

المِلْكِ ، لأن البهائمَ تُرْزَقُ ، ولايصحُّ وصفُها بأنّها مالكةٌ لعلفها ، وهكذا الأطفالُ تُرْزَقُ اللبنَ ولا يُقالُ إن اللبنَ الذي في الثدي مِلْكٌ للطفلِ ، وقال تعالى : [وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ] " ٢٢ الذاريات " .. وليس لنا في السماءِ مِلْكٌ ، ولأن الرزقَ لو كان مِلْكًا لكان إذا أكل الإنسانُ من مِلْكِ غيرِه ، يكونُ قد أكلَ من رزقِ غيرِه ، وذلك محالٌ ، لأن العبدَ لا يأكلُ إلاّ من رزقِ نفسه .. وقيل لبعضهم : من أين تأكلُ ؟ قال : الذي خلق الرَّحَى يأتيها بالطحينِ ، والذي شَدَقَ الأشْدَاقَ هو خالقُ الأرزاقِ .. وقيل لأبي أُسَيْد : من أين تأكلُ ؟ فقال : سبحان اللهِ واللهُ أكبرُ ! إن اللهَ يرزقُ الكلبَ ، أفلا يرزقُ أبا أُسيد ؟! وقيل لحاتمِ الأصمِّ : من أين تأكلُ ؟ فقال : من عند اللهِ ، فقيل له : اللهُ يُنزّلُ لك دنانيرَ ودراهمَ من السماءِ ؟ فقال : كأنّ ما له إلاّ السماءُ !! يا هذا ، الأرضُ له والسماءُ له ، فإن لم يُؤْتِني رزقي من السماءِ ساقَه لي من الأرضِ ، وأنشد :

وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ وَاللهُ رَازِقِي ... وَرَازِقُ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
تَكَفَّلَ بِالأَرْزَاقِ لِلْخَلْقِ كُلِّهِـــمُ ... وَلِلضَّبِّ فِي الْبَيْدَاءِ وَالْحُوتِ فِي الْبَحْرِ

وذكر الترمذيُّ الحكيمُ في (نوادرِ الأصولِ) عن زيدِ بنِ أسلم : أن الأشعريين أبا موسى وأبا مالك وأبا عامر في نفرٍ منهم ، لما هاجروا وقدموا على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في ذلك ، وقد أَرْمَلُوا من الزاد (أي لم يعدْ معهم طعامٌ) ، فأرسلوا رجلاً منهم إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يسألُه ، فلما انتهى الرجلُ إلى بابِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم سمعه يقرأ هذه الآيةَ [وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كَلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ] فقال الرجلُ : ما الأشعريون بأهونِ الدوابِّ على اللهِ ، فرجع ولم يدخلْ على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال لأصحابه : أبشروا أتاكم الغوثُ ، ولا يظنون إلاّ أنه قد كلّمَ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فوعدَه ، فبينما هم كذلك ، أتاهم رجلان يحملان (قصعةً) بينهما مملوءةً خبزًا ولحمًا ، فأكلوا منها ما شاءوا ، ثم قال بعضُهم لبعضٍ : لو ردَدْنا

هذا الطعامَ إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ليقضيَ به حاجتَه ، فقالوا للرجلين : اذهبا بهذا الطعامِ إلى رسولِ اللهِ ، فإنا قد قضينا منه حاجتَنا .. وبعد ذلك أتوا رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقالوا : يا رسولَ اللهِ ، ما رأينا طعامًا أكثرَ ولا أطيبَ من طعامٍ أرسلتَ به !! فقال : (ما أرسلتُ إليكم طعامًا) فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبَهم ، فسألَه رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فأخبرَه ما صنعَ وما قال لهم ، فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : (ذلك شيءٌ رَزَقَكُمُوه اللهُ)..

وقد عرفَ سلفُنا الصالحُ هذه الحقيقةَ ، وآمنوا بأن الرزقَ بيدِ اللهِ ، وأن من اتَّقي اللهَ حقَّ تقاته فسيرزقُه كما يرزقُ الطيرَ التي تخرجُ من أعشاشِها صباحًا خاليةَ البطون ، ثم تعودُ إلى أعشاشِها مملوءةً بطونُها من رزقِ اللهِ .. وعن عمرَ بنِ الخطابِ رضي اللهُ عنه قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : (لو أنكم كنتم تَوَكَّلُونَ على اللهِ حقَ توكّله لرزقَكم كما يرزقُ الطيرَ تغدو خماصًا وتعودُ بطانًا) .. وقال تعالى : [وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا] " ٢-٣ الطلاق " .. أي أن من يتقِ اللهَ يُنجه من كلِّ كربٍ في الدنيا والآخرةِ . وقيل : المخرجُ هو أن يقنِّعَه اللهُ بما رزقَه ، ومن يتقِ اللهَ بالصبرِ عند المصيبةِ يجعلْ له مخرجًا من كلِّ شيءٍ ضاقَ على الناسِ .[وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ] أي يرزقُه الثوابَ ، وأن يباركَ له فيما أعطاه .. ومن يتّقِ اللهَ في الرزقِ بقطعِ العلائقِ يجعلْ له مخرجًا بالكفاية .. وقال عمرُ بنُ عثمان الصدفيّ : ومن يتّقِ اللهَ فيقفْ عند حدوده ويجتنبْ معاصيه يُخرجْه من الحرامِ إلى الحلالِ ومن الضيقِ إلى السّعةِ ومن النارِ إلى الجنّة .. ويرزقْه من حيث لا يحتسبُ .. أي من حيث لا يرجو ، ويباركُ اللهُ له في الرزقِ . وقال أبو ذر : قال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم :(إني لأعلمُ آيةً لو أخذَ بها الناسُ لَكَفَتْهم) ثم

تلا [وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ] فما زال يكررُها ويعيدُها . وقال ابنُ عباسٍ : قرأ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : [ومن يتَّقِ اللهَ يجعلْ له مخرجًا ويرزقْه من حيث لا يحتسبُ] قال : (مخرجًا من شبهاتِ الدنيا ومن غمراتِ الموتِ ، ومن شدائدِ يومِ القيامةِ) .. وعن جابر بن عبد الله قال : نزلتْ هذه الآيةُ في عوفِ بنِ مالكٍ الأشجعيِّ ، أَسَرَ المشركون ابنًا له يُسمَّى سالمًا ، فأتى رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وشكا إليه الفاقةَ وقال : إن العدوَّ أسرَ ابني وجزعتْ الأمُّ ، فما تأمرُني ؟ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ :(اتّقِ اللهَ واصبرْ وآمُرُك وإياها أن تستكثرا من قولِ لا حولَ ولا قوةَ إلاّ باللهِ) ، فعاد إلى بيته وقال لامرأته : إن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أمَرَني وإياكِ أن نستكثرَ من قولِ لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ باللهِ ، فقالت : نعْمَ ما أمرَنا به ، فجعلا يقولان ، فغفلَ العدوُّ عن ابنه ، فساقَ غنمَهم وجاء بها إلى أبيه ، وهي أربعةُ آلافِ شاةٍ ، فنزلتْ الآيةُ .. وروى الحسنُ بن عمران الحصين قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : (من انقطعَ إلى اللهِ كفاه اللهُ كلَّ مؤونةٍ ورزقَه من حيثُ لا يحتسبُ ومن انقطعَ إلى الدنيا وَكَلَهُ اللهُ إليها) ، وعن ابنِ عباسٍ أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قال : (من أكثرَ من الاستغفارِ جعلَ اللهُ له من كلِّ همٍّ فرجًا ومن كلِّ ضيقٍ مخرجًا ، ورزقَه من حيثُ لا يحتسبُ) [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ] أي من فوّضَ إليه أمرَه كفاه ما أهمّه ، قيل : أي من اتّقى اللهَ وجانبَ المعاصي واتّكَلَ على اللهِ ، فله فيما يُعطيه في الآخرة من ثوابه كفايةٌ ، ولم يُرِد الدنيا ، لأن المتوكّلَ قد يُصابُ في الدنيا وقد يُقْتَلُ .. وقال الربيعُ بن خيثم : إن اللهَ تعالى قضى على نفسه أن من توكّلَ عليه كفاه ، ومن آمَنَ به هداه ، ومن أقرضَه جازاه ، ومن وثقَ به نجّاه ، ومن دعاه أجابَ له .. وتصديقُ ذلك في كتابِ اللهِ [وَمَنْ يُؤْمِنْ بَاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ] ° التغابن ١١ ° ..[وَإِنْ

تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ] " ١٧ التغابن " .. [وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] " ١٠١ آل عمران " .. [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ] " ١٨٦ البقرة " ..

وليعلمْ هؤلاء الذين يقلقون على مستقبلِ زوجاتِهم وأولادِهم من بعدِهم ، ويلجأون إلى شركاتِ التأمينِ ، أن اللهَ تعالى قد جعل لهم تأمينًا إلهيًا لا يدفعون فيه أقساطًا من المالِ ، وليس مطلوبًا منهم لتحريرِ الوثيقةِ الإلهيةِ إلاّ أن يتقوا اللهَ ويقولوا القولَ العدلَ والصوابَ فيتكفّلَ اللهُ برزقِ أولادِهم ، وفي هذا يقولُ تعالى :[وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا] " ٩ النساء " وهذا وعظٌ للأغنياءِ والأوصياءِ ، أنِ افعلوا باليتامى وسائرِ أبناءِ الناسِ ما تحبون أن يُفْعَلَ بأولادِكم من بعدِكم .. فمن أراد أن يأمنَ على أولادِه من بعدِه ، فليتّقِ اللهَ في غيرِهم .. وقيل : ألا أدلُّك على أمرٍ إن أنت أدركته نجّاك اللهُ منه ، وإن تركتَ ولدًا من بعدك حَفِظَهُم اللهُ فيك ؟ ثم تُليتْ الآيةُ [وَلْيَخْشَ الَّذِينَ ....] وعن أبي هريرةَ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال : (من أحسنَ الصدقةَ جازَ على الصِّراطِ ، ومن قضى حاجةَ أرملةٍ أخلفَ اللهُ في تركتِه) .. وكأنَّ الآيةَ تقولُ للناسِ : كما تخشون على ورثتِكم وذرّيّتِكم من بعدِكم فكذلك فاخشوْا على ورثةِ غيرِكم ، ولا تحملوهم على تبذيرِ أموالِهم .

إذن ، فبتقوى اللهِ والقولِ العدلِ والحقِّ ، نأمنُ على مستقبلِ زوجاتِنا وأولادِنا .. فإنّ اللهَ تعالى سيتكفّلُ برزقِهم ورعايتِهم وحفظِهم .. ولنا العظةُ في قصةِ العبدِ الصالحِ (الخضرِ) مع موسى عليه السلامُ ، والجدارِ الذي أقامه في قوله تعالى : [وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا

صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ]
* ٨٢ الكهف * .. وكان هذان الغلامان صغيرين يتيمين ، واليتمُ في الناسِ من قِبَلِ فَقْد الأبِ ، وفي غيرهم من الحيوانِ فاليُتْمُ من قِبَلِ الأمِّ .. وقيل في الكنز أنه كان مالاً مدفونًا .. وقال ابنُ عباسٍ : كان عِلْمًا في صحفٍ مدفونة .. وقيل : كان لوحًا من ذهبٍ مكتوبًا فيه : (بسم اللهِ الرحمنِ الرحيمِ . عجبتُ لمن يؤمنُ بالقَدَر كيف يحزنُ ، عجبتُ لمن يؤمنُ بالرزقِ كيف يتعبُ ، عجبتُ لمن يؤمنُ بالموتِ كيف يفرحُ ، عجبتُ لمن يؤمنُ بالحسابِ كيف يغفلُ ، عجبتُ لمن يؤمنُ بالدنيا وتقلُّبِها بأهلِها كيف يطمئنُ إليها ، لا إلهَ إلاّ اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ) ..

أبعد ذلك يلجأُ الناسُ إلى غيرِ ربِّهم للتأمينِ على مستقبلِ أولادِهم ، ويتركون الوثيقةَ الإلهيةَ المضمونةَ والأكيدةَ ، والتي لا يدفعون فيها مالاً ، والثمنُ الوحيدُ الذي يُدْفَعُ فيها هو تقوى اللهِ والقولُ السديدُ ؟؟ .. ألا بئسَ ما يفعلُه الإنسانُ ، وما يعيشُه من النسيانِ ، وبئسَ ما تُغري به الدنيا من الزائلِ والفاني !!..

أيها الناسُ ، عودوا إلى ربِّكم وتوبوا إليه ، وتوكّلوا عليه وسلّموا الأمرَ له ، واعرفوه تحبّوه ، فإذا عرفتموه اتّقيتموه ، وإذا أحببتموه أرضيتموه ، وإذا أرضيتموه أحبَّكم أعظمَ حبٍّ ، وغفرَ لكم كلَّ ذنبٍ ، وزرعَ محبَّتَكم في كلِّ قلبٍ ، واسألوه أن يجعلَنا من عبادِه الذين يحبُّهم ويحبّونه ، وبكلِّ إخلاصٍ يعبدونه .. إنه نِعْمَ المولى والسميعُ المجيبُ ، ونعم الإلهُ المحبُّ والحبيبُ !! ..

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ؟؟!!..

يريدُ اللهُ تعالى أن يُبصّرَنا بأن في الأرضِ وفي أنفسنا آياتٍ للموقنين .. فمن سارَ في الأرضِ رأى آياتٍ وعبرًا ، ومن تفكّرَ في نفسه عَلِمَ أنه خُلِقَ ليعبدَ اللهَ .. ولنتأمّلْ سبيلَ الخلاءِ والبَوْلِ .. فالإنسانُ يأكلُ ويشربُ من مكانٍ واحدٍ ، وهو الفمُ ، ويُخرِجُ من مكانين .. ولو شربَ لبنًا محضًا لخرجَ منه الماءُ ومنه الغائطُ ، فتلك آيةٌ في النفسِ .. والمعنى أنه خلقكم من ترابٍ ، وجعلَ لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ [ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ] ° ٢٠ الروم ° .. [وَفِي أَنْفُسِكُمْ] أي في حياتكم وموتكم ، وفيما يدخلُ ويخرجُ من طعامِكم .. وفي الهَرَمِ بعد الشبابِ ، والضعفِ بعد القوّةِ ، والشّيْبِ بعد السّوادِ .. وفي خَلْقِ أنفسِكم من نطفةٍ وعلقةٍ ومضغةٍ ولحمٍ وعظمٍ ، إلى نفخِ الرُّوحِ ، وفي اختلافِ الألسنةِ والألوانِ والصورِ إلى غيرِ ذلك من الآياتِ الباطنةِ والظاهرةِ ، وحسبُك بالقلوبِ ، وما ركّزَ فيها من العقولِ ، وما خُصّتْ به من أنواعِ المعاني والفنونِ ، وبالألسنِ والنطقِ ومخارجِ الحروفِ ، والأبصارِ والأطرافِ ، وسائرِ الجوارحِ ، وأدائها لما خُلقَتْ له من مهامٍ .. وما سوّى في الأعضاءِ من المفاصلِ ، للانعطافِ والتثنّي .. ولقد جاء في أحدِ الأبحاثِ العلميةِ أن الأعصابَ الموجودةَ في داخلِ جسمِ الإنسانِ لو وُصِّلَتْ ببعضِها لكان طولُها كما بين الأرضِ والقمرِ !! .. ولتعلمْ يا أخي القارئُ أن اللهَ تعالى سخّرَ لك من هذه الأعصابِ ما يُعْتَبَرُ جنودًا لحراستك وحمايتك دون أن تدري ، ودون أيِّ تدخُّلٍ منك ، خاصةً وأنت نائمٌ .. ولعلك لاحظتَ أيها القارئُ حالاتٍ كثيرةً يكونُ فيها الإنسانُ نائمًا نومًا عميقًا .. فإذا وقَفَتْ على جزءٍ من جسمِه ذبابةٌ أو بعوضةٌ ، فإنك تجدُ ذراعَه يتحرّكُ نحوَ مكانِ الذبابةِ أو البعوضةِ ، ليُبْعِدَها عن جسمِه .. بينما هو في سباتٍ عميقٍ ، وعيناه مغمضتان .. فكيف يحدثُ ذلك ؟!.. وسبحان الخلاّقِ .. إن تحت الجلدِ مباشرةً توجدُ

أعصابُ الإحساسِ ، فعند تعرّضِ الجسمِ لأيِّ جسمٍ غريبٍ ، فإن هذه الأعصابَ تعملُ كأسلاكِ البرْقِ أو التليفوناتِ ، وترسلُ إشارةً سريعةً إلى مركزِ الأعصابِ في المخِّ ، الذي يرسلُ بدورِه إشارةً لأقربِ العضلاتِ من المكانِ الذي تعرّضَ للجسمِ الغريبِ ، فيتحركُ الذراعُ أو اليدُ أو الرِّجْلُ لإبعادِ الخطرِ عن الجسمِ ، كلُّ ذلك والإنسانُ مازال نائمًا لا يدري مما يحدثُ شيئًا .. وهذا ما يسمّونه علْميًا (الفعل المنعكس) ، وهذه الظاهرةُ تتكررُ عندَ العينين والجفنين في كلِّ عينٍ ، فإذا أثارَ الهواءُ بعضَ الغبارِ أو الأتربةِ ، فإنك تجدُ الجفونَ بما فيها من الرموشِ تنغلقُ فورًا ، ورغمَ إرادتك ، لحمايةِ العينين من الأتربةِ .. وذلك القلبُ الذي يعملُ منذ يكونُ الإنسانُ جنينًا في بطنِ أمّه ، حتى يصيرَ شيخًا هَرِمًا ، دون أن يتوقفَ عن عمله لحظةً ، سواءً كنتَ نائمًا أم مستيقظًا .. ناهيك عن ما تقوم به الكليتان ، والمعدةُ والأمعاءُ ، وكذلك الرئتان ، وغيرُها مما خلقَ اللهُ في جسمِ الإنسانِ .. هذه الجنودُ التي سخرَها اللهُ تعالى لحمايتك ، والمحافظة على حياتك ، من ميلادك وحتى مماتك ، والتي لا سلطانَ لك عليها ، ولا تستطيعُ أن تمنعَها من أداءِ دورِها في حمايتك ، تُعتبرُ من النِّعَمِ التي قد لا تخطرُ على بالك أيها القارئُ .. وهي نِعَمٌ من ملايين النعمِ الموجودةِ في جسمِ الإنسانِ ، والتي سخرَها اللهُ تعالى لخدمته ولحمايته .. [فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ] ١٤ المؤمنون .
وصدقَ اللهُ تعالى إذ يقولُ : [وَفِي أَنْفُسِكُم أَفَلاَ تُبْصِرُونَ] ٢١ الذاريات .

اللهمَّ ياربَّنا ، في أنفسنا قد أبصرْنا ، وبنعمك الكثيرة علينا قد أقرَرْنا ، ولهذه النعمِ لك حمدْنا وشكرْنا ، ولرضاكَ عنا قد رجوْنا ، وعساكَ ترضى عنا وتقبلْنا ، وتغفرُ لنا وترحمُنا .. ولكلِّ هذا الفضلِ والنعمِ أحببناكَ ، وليس لنا ربٌّ ولا حبيبٌ سواكَ !!..

فيه شِـفَاءٌ لِلنَّـــاسِ !!..

يقولُ اللهُ تعالى : [وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] * ٦٨-٦٩ النحل * ..

[وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ] أي ألهمها ..[أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ] .. أي اجعلي لكِ بيوتًا من الجبالِ وكُواها ، وفي مُتَجَوَّفِ الأشجارِ ، وفيما يعرش ابنُ آدمَ ، أي يُهيّئُه من الخلايا والحيطانِ وغيرِها .. ومن عجيبِ ما خلقَ اللهُ في النحلِ أن ألهمَها لاتخاذِ بيوتِها مُسَدَّسةَ الشكلِ ، فبذلك اتصلتْ حتى صارتْ كالقطعةِ الواحدة وذلك أن الأشكالَ من المثلَّثِ إلى المعشرِ إذا جُمِعَ كلُّ واحدٍ منها إلى أمثاله لم يتصلْ ، وجاءتْ بينها فُرَجٌ ، إلاّ الشكلَ المسدَّسَ ، فإنه إذا جُمِعَ إلى أمثاله اتصلَ كأنه كالقطعةِ الواحدةِ [ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ] وذلك أنّها إنّما تأكلُ من (النوّارِ) من الأشجارِ.[فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ] أي ادخلي طُرُقَ ربِّكِ لطلبِ الرزقِ في الجبالِ وخلالَ الشجرِ ..[ذُلُلاً] أي مطيعةً مسخَّرَةً .. وقيل : أي في طُرُقٍ مذلَّلَةٍ سهلةٍ للسلوكِ عليها .. [يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ] أي العسلُ الذي يخرجُ من أفواهِ النحلِ .. وورد عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه وكرَّمَ وجهَه أنه قال في تحقيرِه للدنيا : أشرفُ لباسِ ابنِ آدمَ فيها لُعابُ دودةٍ ، وأشرفُ شرابِه رجيعُ نحلةٍ .. فظاهرُ ذلك أن العسلَ من غيرِ الفمِ .. والخلاصةُ فإنه يخرجُ ولا يُدْرَى من فيها أو من أسفلِها .. وقد صنعَ (أرسطاطاليسُ) بيتًا للنحلِ من زجاجٍ لينظرَ إلى كيفيةِ ما تصنعُ ، فأبَتْ أن تعملَ حتى لطَّخَتْ باطنَ الزجاجِ بالطينِ

" ذكرَه الغزنوي " وقال : [مِنْ بُطُونِهَا]، لأن استحالةَ الأطعمةِ لا تكون إلاّ في البطنِ .. [مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ] أي أنواعُه من الأحمرِ والأبيضِ والأصفرِ والجامدِ والسائلِ ، والأمُّ واحدةٌ والأولادُ مختلفون ، دليلٌ على أن قدرةَ الله نوّعَته بحسبِ تنويعِ الغذاءِ .. كما يختلفُ طعمُه بحسبِ اختلافِ المراعي .. [فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ] ، أي أن في العسلِ شفاءً للناسِ .. ورُوِيَ عنِ ابن عباسٍ والحسنِ وغيرِهم: الضميرُ للقرآن ، أي في القرآنِ شفاءٌ للناسِ .. وقيل : العسلُ فيه شفاءٌ .. وهذا القولُ بيِّنٌ أيضًا ، لأنّ أكثرَ الأشربةِ والمعجوناتِ ، التي يُتَعَالَجُ بها أصلُها من العسلِ .. وقال القاضي أبو بكرٍ العربيُّ : من قال إنه القرآنُ بعيدٌ ، ما أراه يصحُّ عنهم ، ولو صحَّ نقلاً لم يصحَّ عقلاً ، فإن مساقَ الكلامِ كلّه للعسلِ ، ليس للقرآنِ فيه ذِكْرٌ .. واختلفَ العلماءُ في قوله تعالى : [فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ] هل هو على عمومِه أم لا ، أي هل في جميعِ الحالاتِ أم لا .. فقالت طائفةٌ : هو على العمومِ في كلّ حالٍ ولكلّ أحدٍ .. ورُوِيَ عن ابنِ عمرَ أنه كان لا يشكو قُرْحَةً ولا شيئًا إلاّ جعلَ عليه عسلاً ، حتى (الدّمّل) إذا خرجَ عليه طلى عليه عسلاً .. وحكى النقاشُ عن أبي وجرة أنه كان يكتحلُ بالعسلِ ، ويتداوى بالعسلِ .. ورُوِيَ أن عوفَ بن مالك الأشجعي مَرِضَ ، فقيل له : ألا نعالجُك ؟ فقال : ائتوني بالماءِ ، فإن الله تعالى يقولُ : [وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا] "٩ ق " ، ثم قال : ائتوني بعسلٍ ، فإن الله تعالى يقولُ :[فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ] ، ثم قال : ائتوني بزيتٍ ، فإن الله تعالى يقولُ :[مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ] " ٣٥ النور " فجاءوه بذلك كلّه ، فخلطَه جميعًا ثم شربَه فبرئَ .. ومنهم من قال : إنه على العمومِ إذا خُلطَ بالخلِّ ويُطْبَخُ فيأتي شرابًا ، يُنْتَفَعُ به في كلِّ حالةٍ من كلِّ داءٍ .. وقالت طائفةٌ : إن ذلك على الخصوصِ ، ولا يقتضي العمومَ في كلِّ علّةٍ وفي كلِّ إنسانٍ ، بل إنه خبرٌ عن أنه يشفي كما يشفي غيرُه من الأدويةِ في بعضٍ ، وعلى حالٍ دون حالٍ ، وفائدةُ الآيةِ إخبارٌ منه في أنه دواءٌ لما كثُر الشفاءُ به ، وصار خليطًا ومعينًا للأدويةِ من الأشربةِ والمعاجينِ ..

وقد حملَته طائفةٌ من أهلِ الصدقِ والعزمِ على العمومِ ، وكانوا يُشفَوْنَ من عِلَلِهم ببركةِ القرآنِ ، وبصحة التصديقِ والإيقانِ .. وإن قال قائلٌ : قد رأينا من ينفعُه العسلُ ومن يضرُّه ، فكيف يكونُ شفاءً للناسِ ؟ قيل له : الماءُ حياةُ كلِّ شيءٍ ، وقد نرى من يقتلُه الماءُ إذا أخذَه على ما يُضاده من علّةٍ في البدنِ ، وقد رأينا شفاءَ العسلِ في أكثرَ هذه الأشربةِ وقد اتّفقَ الأطباءُ عن بكرةِ أبيهم على مدحِ عمومِ منفعة (السكنجبين) في كلِّ مرضٍ ، وأصلُه العسلُ .. وكذلك سائرُ المعجوناتِ ، على أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد حسمَ داءَ الإشكالِ وأزالَ وجهَ الاحتمالِ حين أمَرَ الذي يشتكي بطنَه بشربِ العسلِ ، فلما أخبرَه أخوه بأنه لم يزِدْه إلاّ استطلاقًا (أي زيادةً في الإسهالِ) أمَرَه بعَوْدِ الشرابِ له فبَرِئَ ، وقال : (صدقَ اللهُ وكذبَ بطنُ أخيك) .. وقد اعترضَ بعضُ زنادقةِ الأطباءِ على هذا الحديثِ فقالَ : قد أجمعتْ الأطباءُ على أن العسلَ يُسْهِلُ ، فكيف يوصَفُ لمن به الإسهالُ ؟ .. والجوابُ أن ذلك القولَ حقٌ في نفسِه لمن حصلَ له التصديقُ بنبيِّه عليه الصلاةُ والسلامُ ، فيستعملُه على الوجهِ الذي عيّنَه ، وفي المحلِّ الذي أمَرَه ، بعَقْدِ نيّةٍ ، وحُسْنِ طَويّةٍ ، فإنه يرى منفعتَه ، ويُدركُ بركتَه .. كما قد اتّفق لصاحبِ هذا العسلِ وغيرِه . وقال الإمامُ أبو عبدِ الله المازري : ينبغي أن يُعْلَمَ أن الإسهالَ يحدثُ من ضروبٍ كثيرةٍ ، منها الإسهالُ الحادثُ عن التُّخمِ والهيضاتِ ، والأطباءُ مجمعون في مثلِ هذا على أن علاجَه بأن يُتْرَكَ للطبيعةِ وفعلِها ، وإن احتاجتْ إلى معينٍ على الإسهالِ أُعينَتْ ما دامت القوّةُ باقيةً ، فأما حبْسُهَا فضررٌ فإذا وضُحَ هذا قلنا : فيمكنُ أن يكونَ ذلك الرجلُ أصابَه الإسهالُ عن امتلاءٍ وهيضةٍ فأمَرَه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بشربِ العسلِ فزادَه، إلى أن فنيت المادةُ ، فوقفَ الإسهالُ فوافقَه شربُ العسلِ .. وكان الحسنُ يكرَه شربَ الأدويةِ كلّها إلاّ اللبنَ والعسلَ .. وبعد قوله تعالى : [فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ] يقولُ تعالى :[إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] " ٦٩ النحل " .. أي يعتبرون ويتعظون من أمْرِ النحلِ بإنصافِ

النظرِ والفكرِ في عجيبِ أمرِها ، فيشهدُ اليقينَ بأن مُلْهِمَها الصنعةَ اللطيفةَ ، مع البنيةِ الضعيفةِ هو اللهُ سبحانه وتعالى ، كما قال :[وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ]• ٦٨ النحل •
. ثم أنها تأكلُ الحامضَ والمرَّ ، والحلوَ والمالحَ ، والحشائشَ الضارّةَ ، فيجعلُه اللهُ عسلاً حلوًا وشفاءً ، وفي هذا دليلٌ على عظيمِ قدرته .

فسبحان الذي خلقَ النحلَ ، وأخرجَ منه العسلَ وجعلَه شفاءً للناسِ ، كما جعلَ في القرآنِ أيضًا ما هو شفاءٌ ، كما جاء في قوله تعالى : [وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ] • ٨٣ النحل • وقد جاء في الخبر (من لم يستشفِ بالقرآنِ فلا شفاه اللهُ) .. واختلفَ العلماءُ في كونه شفاءً على قولَيْن .. أحدُهما : أنه شفاءٌ للقلوبِ بزوالِ الجهلِ عنها وإزالةِ الرِّيَبِ ، ولكشفِ غطاءِ القلبِ من مرضِ الجهلِ لفهمِ المعجزاتِ والأمورِ الدالةِ على اللهِ تعالى .. والقولُ الثاني : شفاءٌ من الأمراضِ الظاهرةِ ، بالرُّقَى والتعوّذِ ، وقد رَوَى الأئمةُ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال : بعثنا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في سَرِيَّةٍ ثلاثين راكبًا ، قال : فنزلْنا على قومٍ من العربِ ، فسألناهم أن يُضَيِّفُونا فَأَبَوْا .. قال : فَلُدِغَ سَيِّدُ الحيِّ ، فأتوْنا فقالوا : أفيكم أحدٌ يَرْقِي من العقربِ ؟ (في روايةِ ابنِ قتة) إن المَلِكَ يموتُ ... قال : قلتُ أنا نعم ، ولكن لا أفعلُ حتى تعطونا ، فقالوا : فإنا نعطيكم ثلاثين شاةً ، قال : فقرأتُ عليه [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] سبعَ مرّاتٍ فبَرَأَ ، فبعثَ إلينا بالنزلِ وبعثَ إلينا بالشّاءِ ، فأكلنا الطعامَ أنا وأصحابي .. وأبَوْا أن يأكلوا من الغنمِ ، حتى أتينا رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فأخبرتُه الخبرَ فقال : (وما يُدريك أنّها رُقية) قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، شيءٌ أُلْقِيَ في روعي ، قال : (كلوا وأطعمونا من الغنمِ) .. وعن أبي أمامةَ عن رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال : (ينفعُ بإذنِ اللهِ من البَرَصِ والجنونِ والجذامِ والبطنِ والسّلِّ أن تكتبَ بزعفرانٍ أو بمشقٍ (المغرة) أعوذُ بكلماتِ

اللهِ التامّةِ وأسمائه كلِّها عامّةً من شرِّ السّامّةِ والغامّةِ ، ومن شرِّ العينِ اللامّةِ ، ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسدَ ، ومن أبي فروةَ وما ولدَ) ، والعينُ اللامّةُ هي التي تصيبُ بسوءٍ ، تقولُ : أعيذُه من كلِّ هامّةٍ لامّةٍ . وأما قولُه : أعيذُه من حادثاتِ اللمّة، فيقولُ : هو الدّهرُ ، ويقالُ : الشدّةُ .. والسّامّةُ : أي الخاصّةُ .. يقالُ : كيف السامّةُ والعامّةُ .. والسامّةُ : السّمُّ .. ومن أبي فروةَ وما ولدَ .. وقال : ثلاثةٌ وثلاثون من الملائكةِ أتَوْا ربَّهم عزَّ وجلَّ فقالوا : وصبٌ بأرضنا . فقال : خذوا تربةً من أرضكم فامسحوا نواصيكم ، أو قال : نوصيكم رقيةَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم لا أفلحَ من كتمَها أبدًا أو أخذَ عليها صفدًا . ثم تكتبُ فاتحةُ الكتابِ وأربعُ آياتٍ من أولِ (البقرةِ) ، والآيةَ التي فيها تصريفُ الرياحِ ، وآيةُ الكرسيِّ والآيتان اللتان بعدها ، وخواتيمُ سورةِ (البقرةِ) من موضعِ [لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ] ° ٢٨٤ البقرة ° إلى آخرها ، وعشرٌ من أولِ سورةِ (آلِ عمرانَ) ، وعشرٌ من آخرها ، وأولُ آيةٍ من سورةِ (النساءِ) ، وأولُ آيةٍ من سورةِ (المائدةِ) ، وأولُ آيةٍ من سورةِ (الأنعامِ) ، وأولُ آيةٍ من سورةِ (الأعرافِ) ، والآيةُ التي في الأعرافِ [إِنَّ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ] ° ٥٤ الأعراف ° ، حتى تُختَمَ الآيةُ ، والآيةُ التي في (يونسَ) من موضعِ [قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ] ° ٨١ يونس ° والآيةُ التي في (طه) [وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى]°٦٩ طه ° وعشرٌ من أوّلِ (الصافاتِ) ، و[قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ] ° ١ الإخلاص ° ، والمعوِّذتين .. تُكتبُ في إناءٍ نظيفٍ ثم تُغسلُ ثلاثَ مرّاتٍ بماءٍ نظيفٍ ، ثم يحثو منه ، الوَجِعُ (أي المريضُ) ثلاثَ حثواتٍ ، ثم يتوضأُ منه كوضوئِه للصلاةِ ، ويتوضأُ قبل وضوئِه للصلاةِ حتى يكونَ على طُهرٍ قبل أن يتوضأَ ، ثم يُصَبُّ على رأسِه وصدرِه وظهرِه ، ولا

يُستنجَى به ، ثم يصلي ركعتين ، ثم يستشفي اللهَ عزَّ وجلَّ ، يفعل ذلك ثلاثةَ أيامٍ ، قدرَ ما يكتبُ في كلِّ يوم كتابًا .. وروى البخاريُّ عن عائشةَ أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم كان ينفثُ على نفسه في المرضِ الذي مات فيه بالمعوِّذات ، فلما ثَقُلَ كنتُ أنفثُ عليه بهنَّ ، وأمسحُ بيدِ نفسه لبركتها . فسألتُ الزّهريَّ : كيف كان ينفثُ ؟ قال : كان ينفثُ على يديه ، ثم يمسحُ بهما وجهَه .. وعن عائشةَ أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كان إذا اشتكى ، قرأَ على نفسه المعوِّذتين وتَفَلَ أو نَفَثَ ، ومعنى (نفثَ) أي نفخَ نفخًا ليس معه ريقٌ .. ومعنى (تَفَلَ) نفخَ نفخًا معه ريقٌ .. ورُوِيَ عنه عليه الصلاةُ والسلامُ أنه قال : (شفاءُ أمّتي في ثلاثِ آيةٍ من كتابِ اللهِ ، أو لَعْقَةٍ من عسلٍ أو شرطةٍ من محجمٍ) .. وقال رجاءُ الغنويّ : ومن لم يستشفِ بالقرآنِ فلا شفاءَ له .. واختلفَ العلماءُ في (النُّشْرَةِ) وهي أن يَكتبَ شيئًا من أسماءِ اللهِ أو من القرآنِ ثم يغسلَه بالماءِ ثم يمسحَ به المريضَ أو يسقيَه ، فأجازَها سعيدُ بنُ المسيّبِ .. قيل له : الرجلُ يُؤْخَذُ عن امرأته ، أيحلُّ عنه وينشرُ ؟ قال : لا بأسَ به ، وما ينفعُ لم يُنْهَ عنه .. وكانتْ عائشةُ تقرأُ بالمعوِّذتين في إناءٍ ثم تأمُرُ أن يُصَبَّ على المريضِ .. وقال المازريُّ أبو عبدِ اللهِ : النشرةُ أمرٌ معروفٌ عند أهلِ التعزيم ، وسُمِّيَتْ بذلك لأنها تنشرُ عن صاحبها (أي تحلُّ) .. والنشرةُ من جنسِ الطبِّ ، فهي غسالةُ شيءٍ له فضلٌ ، فهي كوضوءِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وقال عليه الصلاةُ والسلامُ : (لا بأسَ بالرُّقَى ما لم يكنْ فيه شرْكٌ ، ومن استطاعَ أن ينفعَ أخاه فليفعلْ) .. وقال مالكٌ : لا بأسَ بتعليقِ الكتبِ التي فيها أسماءُ اللهِ عزَّ وجلَّ على أعناقِ المرضَى على وجهِ التبرّكِ بها إذا لم يُرِدْ مُعَلِّقُهَا بتعليقِها مدافعةَ العينِ .. وهذا معناه أن ينزلَ به شيءٌ من العينِ ، وعلى هذا القولِ جماعةٌ من العلماءِ ، لا يجوزُ عندهم أن يُعَلَّقَ على الصحيحِ من البهائمِ أو بني آدمَ شيءٌ من العلائقِ خوفَ نزولِ العينِ ، وكلُّ ما يُعَلَّقُ بعد نزولِ البلاءِ ، من أسماءِ اللهِ عزَّ وجلَّ وكتابِه رجاءَ الفَرَجِ والبرْءِ من

اللهِ تعالى ، فهو كالرُّقَى المباحِ الذي وردتْ السنّةُ بإباحته من العينِ وغيرِها .. وقد روى عبدُ اللهِ بنُ عمرو قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه ، وسلم (إذا فَزِعَ أحدُكم في نومِه فليقُلْ أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامّة من غضبِه وسوءِ عقابِه ، ومن شرِّ الشياطينِ وأن يحضرون) . وكان عبدُ اللهِ يعلّمُها ولدَه من أدركَ منهم ، ومن لم يُدركْ كتبَها وعلّقها عليه .. فإن قيل : فقد رُوِيَ أن رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم قال : (مَنْ عَلّقَ شيئًا وُكِّلَ إليه) .. أي فمن علّقَ القرآنَ ينبغي أن يتولاّه اللهُ ولا يَكِلَهُ إلى غيرِه ، لأنه تعالى هو المرغوبُ إليه والمُتَوَكَّلُ عليه في الاستشفاءِ بالقرآنِ .. وسُئِلَ بنُ المسيّبِ عن التعويذِ ، أيُعَلّقُ ؟ فقالَ : إذا كان في قصبةٍ أو رقعةٍ يُحْرَزُ فلا بأسَ به ، وهذا على أن المكتوبَ قرآنٌ .. وعن الضّحاكِ أنه لم يكنْ يرى بأسًا أن يعلّقَ الرجلُ الشيءَ من كتابِ اللهِ إذا وضعَه (أي أبعدَه) عند الجماعِ وعند الغائطِ .. ورأى ابنُ مسعودٍ على أمِّ ولدِه تميمةً مربوطةً فجذبَها جذبةً شديدةً فقطعَها وقال : إن آلَ ابنِ مسعودٍ لأغنياءُ عن الشِّرْكِ ، ثم قال : إن التمائمَ والرُّقَى والتولةَ من الشِّرك .. قيل ما التولةُ ؟ قال : ما تحبّبَتْ به لزوجِها .. ورُوِيَ عن عقبةَ بنِ عامرٍ الجهنيِّ قال : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ : (من علّق تميمةً فلا أتمَّ اللهُ له ، ومن علّقَ وَدَعَةً فلا ودعَ اللهُ له قلبًا) .. والتميمةُ هي قلادةٌ فيها عوذٌ ، والودعةُ خرزٌ .. والقلادةُ هي ما عُلّقَ في الأعناقِ من القلائدِ خشيةَ العينِ أو غيرِها أن تنزلَ أو لا تنزلَ قبل أن تنزلَ ، فلا أتمّ اللهُ عليه صحتَه وعافيتَه .. ومن تعلّق ودعةً ، وهي مثلُها في المعنى ، فلا ودعَ اللهُ له ، أي فلا باركَ اللهُ له ما هو فيه من العافيةِ ، واللهُ أعلمُ .. وذلك كلُّه تحذيرٌ مما كان أهلُ الجاهليةِ يصنعونه ، من تعليقِ التمائمِ والقلائدِ ، ويظنون أنها تَقيهم وتصرفُ عنهم البلاءَ ، وذلك لا يصرفُه إلاّ اللهُ عزَّ وجلّ ، وهو المعافي والمبتلي ، لاشريكَ له ، فنهاهم رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عما كانوا يصنعون في جاهليتِهم .. وعن عائشةَ قالت : ما تعلّقَ بعد نزولِ البلاءِ فليس من التمائمِ ، وما

رُوِيَ عن بنِ مسعودٍ يجوزُ أن يريدَ بما كَرِهَ تعليقه غير القرآنِ أشياءَ مأخوذة عن العراقيين والكهّانِ ، إذ الاستشفاءُ بالقرآنِ معلّقًا وغيرَ معلّقٍ لا يكونُ شِرْكًا .. وقولُه تعالى : [وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ] معناه أن ما في القرآنِ من رحمةٍ يعني تفريجَ الكروبِ وتطهيرَ العيوب وتكفيرَ الذنوبِ ، مع ما تفضّلَ به تعالى من الثوابِ في تلاوته ، كما روى الترمذيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قال : قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم (من قرأ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها ، ولا أقولُ (آلم) حرفٌ ، بل ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ) .

أرأيتَ أيها الأخُ القارئُ رحمةَ ربِّك فيما أنزلَه في القرآنِ مما هو شفاءٌ للناسِ ورحمةٌ ؟!.. وبعد ذلك ، هل هناك من نستهدفُ رحمتَه غيرُ اللهِ ؟!.. وهل هناك من نرجو إحسانَه غيرُ اللهِ ؟!.. وهل هناك من هو جديرٌ بحبِّنا غيرُ اللهِ ؟!..

ولَعَلَّكَ ولَعَلّي نكونُ من أحبابِه .. فيقينا شرَّ عذابِه ويجعلُ الجنّةَ لنا من جزائِه وثوابِه !!..

واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ !!

لو عرفنا ما هو الإحسانُ ، وكيف السبيلُ إليه ، وما جزاءُ المحسنين عند الله تعالى ، لَسَعَيْنَا واجتهدْنا ، لنكونَ من عبادِ الله المحسنين ، الذين يحبُّهم ، ويكونَ بالفضلِ دائمًا معهم !!..

تُرَى !! ما هو الإحسانُ المقصودُ في آياتِ الله البيّنات ، ومن هم المحسنون ، وما هي سبلُ الإحسانِ ، وما جزاءُ الإحسانِ عند الله تعالى لعباده من المحسنين ؟؟.. وهناك إحسانٌ من اللهِ ، وإحسانٌ من عبادِه .. فالإحسانُ من الله يكونُ برحمتِه ومغفرتِه ، وجزائِه وثوابِه ، بالتوفيقِ في الدنيا ، وبالجنّةِ والنعيمِ في الآخرةِ .

يقولُ تعالى : [كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] ° ١١٠ الصافات ° أي نجزيهم بالخلاصِ من الشدائدِ في الدنيا والآخرةِ.. ويقولُ تعالى أيضًا : [لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ] ° ٣٤ الزمر ° من النعيمِ في الجنّة ، لهم الثناءُ في الدنيا والثوابُ في الآخرةِ .. ويقولُ تعالى : [والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] ° ٦٩ العنكبوت ° أي جاهَدوا الكفارَ في الله ، أو جاهَدوا جهادًا عامًّا في دينِ اللهِ ، وطلبِ مرضاتِه .. والمجاهدون في دينِ الله هم الذين يعملون بما يعلمون .. وقال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : (من عَمِلَ بما عَلِمَ علّمَهُ اللهُ ما لم يَعْلَمْ) ونزعَ بعضُ العلماءِ إلى قولِه تعالى :[وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ] °٢٨٢البقرة° وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : إنّما قَصُرَ بنا عن علمِ ما جَهِلنا تقصيرُنا في العملِ بما علمنا ولو عمِلنا ببعضِ ما علمنا لأورثَنا علْمًا لا تقومُ به أبدانُنا . وليس الجهادُ المقصودُ في الآيةِ قتالَ الكفارِفقط ، بل هو نصرُ الدّينِ والرّدُ على المبطلين ، وقمعُ الظالمين ،

والقضاءُ على الفِتَنِ ، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ .. ومنه مجاهدةُ النفوسِ في طاعةِ الله ، وهو الجهادُ الأكبرُ .. ويقولُ تعالى :[إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] ° ٩٠ يوسف ° أي يتّقي اللهَ ويصبرُ على المصائبِ والمعاصي .. ويمنحُ اللهُ إحسانَه لمن يشاءُ من عبادِه ، كما جاء في قوله تعالى :[نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] ° ٥٦ يوسف ° .. ويقولُ تعالى : [وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] ° ١١٥ هود ° .. أي واصبرْ على الصلاةِ ، كقوله [وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا] ° ١٣٢ طه ° .. وقيل : المعنى واصبرْ يا محمدُ على ما تلقَى من الأذى .. ولقد نهى اللهُ عن كلِّ فسادٍ في الأرضِ ، قلَّ أو كثُرَ ، بعد صلاحٍ قلَّ أو كثُرَ ، فقال تعالى : [وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ، وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ، إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] ° ٥٦ الأعراف ° .. ومن الفسادِ في الأرضِ تعكيرُ أو تسميمُ آبارِ المياهِ ، وقطعُ الأشجارِ المثمرةِ ، وقطعُ الدنانيرِ ، وغشُّ السّلعِ ، وسفكُ الدماءِ ، ونشرُ الإشاعاتِ وإيقاظُ الفتنِ .. [وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا] بأن يكونَ الإنسانُ في حالةِ ترقّبٍ وتخوّفٍ وتأميلٍ للهِ عزَّ وجلَّ ، حتى يكونَ الرجاءُ والخوفُ للإنسانِ كالجناحين للطائرِ يحملانه في طريقِ الاستقامةِ ، وإن انفردَ أحدُهما هلَكَ الإنسانُ .. فيدعو الإنسانُ ربَّه خوفًا من غضبه وطمعًا في ثوابه [نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ]° ٤٩-٥٠ الحجر ° .. ولابد أن نحسنَ الظنَّ باللهِ ، وأن نثقَ في مغفرته ورحمته .. ويقولُ الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم : (لا يموتَنَّ أحدُكم إلاّ وهو يُحسنُ الظنَّ باللهِ) .. وجزاءُ إحسانِ الظنِ باللهِ الخلودُ في جناتِ النعيمِ ، لقوله تعالى : [فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ] ° ٨٥ المائدة ° دليلٌ على إخلاصِ إيمانِهم ، وصدقِ مقالِهم ، فأجابَ اللهُ سؤالَهم ، وحققَ

طمعَهم ، وهكذا من خلُصَ إيمانُه ، وصدقَ يقينُه ، يكونُ ثوابُه الجنّةَ والنعيمَ..[فَآتَاهُمْ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] * ١٤٨ آل عمران * ، أي أعطاهم ثوابَ الدنيا بالنصرِ والظفرِ على عدوِّهم ، وحُسْنَ ثوابِ الآخرةِ ، يعني الجنّةَ .. وقال تعالى:[الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] * ١٣٤ آل عمران * (الذين ينفقون) هذا من صفةِ المتقين الذين أُعدّتْ لهم الجنّةُ .. (في السرّاءِ والضرّاءِ) ، أي في اليُسْرِ والشدّةِ ، والصحةِ والمرضِ .. (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) أي الذين يكتمون غيظَهم عند الغضبِ .. (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) بمعنى العفوِ عن المماليكِ والعبيدِ والخدمِ .. ورُوِيَ عن ميمون بن مهران ، أن جاريتَه جاءتْ ذاتَ يومٍ بصحفةٍ " أي طبقٍ " فيها " مَرَقَةٌ " حارّةٌ ، وعنده ضيوفٌ ، فعثرتْ الجاريةُ فصبّتْ المرقةَ عليه ، فأراد ميمونُ أن يضربَها ، فقالت له : يامولاي ، استعملْ قولَه تعالى : [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ] فقال لها : قد فعلتُ . فقالت له : اعملْ بما بعده [وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ] فقال : قد عفوتُ عنكِ . فقالت : [وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] فقال ميمون : قد أحسنتُ إليكِ ، فأنتِ حرّةٌ لوجهِ اللهِ تعالى . وقال مقاتلُ بنُ حيّانٍ في هذه الآيةِ : بلَغَنا أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، قال عند ذلك : (إن هؤلاء من أمتي قليلٌ إلاّ من عصمَه اللهُ ، وقد كانوا كثيرًا في الأممِ التي مضتْ) .. فمدحَ اللهُ الذين يغفرون عند الغضبِ وأثنى عليهم فقال:[وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ]* ٣٧ الشورى * . وأثنى اللهُ على الكاظمين الغيظَ والعافين عن الناسِ بأنه تعالى يحبُّهم بإحسانهم في ذلك .. وقد وردتْ أحاديثُ في كظمِ الغيظِ ، والعفوِ عن الناسِ ، وضبطِ النفسِ عند الغضبِ ، وذلك من أعظمِ العبادةِ وجهادِ النفسِ .. فقال الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم :(ليس الشديدُ بالصُّرعةِ

ولكنّ الشديدَ الذي يملكُ نفسَه عند الغضب) وقال عليه الصلاةُ والسلامُ : (ما من جرعةٍ يتجرّعُها العبدُ خيرٌ له وأعظمُ أجرًا ، من جرعةِ غيظٍ في الله) . وروَى أنسُ أن رجلاً قال : يارسولَ الله ، ما أشدُّ من كلّ شيء ؟ قال :(غضبُ الله)، قال الرجلُ : فما يُنجي من غضبِ الله ؟ قال : (لا تغضبْ) .. وقال العرجيّ :

وَإِذَا غَضِبْتَ فَكُنْ وَقُورًا كَاظِمًا ... لِلْغَيْظِ تُبْصِرْ مَا تَقُولُ وَتَسْمَعْ
فَكَفَى بِهِ شَـــرَفًا تَبَصُّـــرُ سَاعَةٍ ... يَرْضَى بِهَا عَنْكَ الإِلَهُ وَتُرْفَعْ

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ : (من كظمَ غيظًا وهو يستطيعُ أن ينفّذَه دعاه الله يومَ القيامةِ على رءوسِ الخلائقِ حتى يُخيّرَه إلى أيّ الحُورِ شاءَ) .. وروى أنسُ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال : (إذا كان يومُ القيامةِ نادى مُنادٍ : من كان أجرُه على اللهِ فليدخلِ الجنّةَ ، فيقال: من ذا الذي أجرُه على الله ؟! فيقومُ العافون عن الناسِ يدخلون الجنّةَ بغيرِ حسابٍ) وقال بن المبارك : كنتُ عند المنصورِ جالسًا ، فأمَرَ بقتلِ رجلٍ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : (إذا كان يومُ القيامةِ نادى منادٍ بين يدي اللهِ عزَّ وجلَّ : من كانت له يدٌ عند اللهِ فلا يتقدّم إلاّ من عفا عن ذنبٍ) فأمر المنصورُ بإطلاقِ سراحِ الرجلِ .

ويقولُ تعالى : [وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] ° ١٩٥ البقرة ° .. ومعنى [ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ] أي لا تتركوا النفقةَ في سبيلِ اللهِ وتخافوا العيلةَ ، فيقولُ الرجلُ : ليس

عندي ما أنفقُه .. وقال ابنُ عباسٍ : أَنْفِقْ في سبيلِ الله ، وإن لم يكنْ لك إلاّ سهمٌ أو مِشْقَصٌ ، ولا يقولَنَّ أحدُكم : لا أجدُ شيئًا .. وعن السّدّي : أَنْفِقْ ولو عقالاً ولا تُلْقِ بيدك إلى التهلكة ، فتقولُ : ليس عندي شيءٌ .. وقال مقاتلُ : ولا تُمسكوا بأيديكم عن الصدقةِ فتهلكوا .. وقيل : إن معنى الآيةِ ، لا تُمسكوا أموالَكم فيرثَها منكم غيرُكم ، فتهلكوا بحرمانِ منفعةِ أموالِكم .. وقيل : يعني لا تنفقوا من حرامٍ فيُرَدَّ عليكم فتهلكوا .. وقيل : لا تُهلكوا أنفسَكم ، بارتكابِ ما يضرُّ أبدانَكم ، كالتدخينِ وشربِ الخمرِ وتعاطي المخدراتِ .. فكلُّ تلك الموبقاتِ ، للنفوسِ والأبدانِ مُهلكاتٌ .

فتعاليتَ يا اللهُ في عليائك ، ياواسعَ الكرمِ في عطائك .. وفّقنا للإحسانِ في أعمالِنا ، حتى يكونَ إحسانُك أجرًا لنا ، واختم بالخيراتِ أعمارَنا .. فإن زَلَلْنا فأنت الطبيبُ ، وإن سألنا فأنت المجيبُ ، وإن قصَّرْنا فأنت الحبيبُ !!..

أيّها الإنســـانُ ... لستَ وحدَك الذكيَّ !!..

قد يعتقدُ الإنسانُ بغرورِه أنه وحدَه الذكيُّ دون مخلوقاتِ الله .. ولكنه إذا تأمّلَ بعضَ مخلوقاتِ الله الأخرى ، لوجدَ العجبَ العجابَ !! .. ولقد عجبتُ لمن يقولُ إن الحيوانَ غيرُ عاقلٍ، أوْ ليس له ذكاءٌ كما للإنسانِ .. إن ما يمكنُ أن نصدّقَه أن يقالَ إن الحيوانَ غيرُ ناطقٍ .. وإن كنا نعتقدُ أن هذه القضيةَ غيرُ دقيقةٍ ، إذ الأدقُّ والأصحُّ ، أن يُقالَ إن الحيوانَ لا ينطقُ كما ينطقُ الإنسانُ .. إذ أنه لابد للحيوانِ من نطقٍ يعلمُه الله ، ولابد أن لديه لغةً يتفاهمُ بها مع كلِّ أفرادِ جنسِه ، وإلاّ لما وجدْنا كلَّ نوعٍ من الحيواناتِ والطيورِ والحشراتِ ، يعيشُ في جماعاتٍ ويشكّلون مجتمعاتٍ خاصةً بها .. وصدقَ الله تعالى إذ يقولُ : [وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ] • ٣٨ الأنعام• كما يقولُ تعالى : [وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ] • ٤٤ الإسراء • أي ما من شيءٍ من خَلْقِ الله من الإنسانِ أو الحيوانِ أو الطيرِ أو الحشراتِ أو النباتِ أو حتى من الجمادِ ، إلاّ ويسبّحُ لله ، وكيف يُسبّحُ الشيءُ إلاّ إذا كانت له لغةٌ يُسبّحُ بها ، لا يعلمُها إلاّ الله تعالى .. وفي سورةِ النملِ يقولُ تعالى : [حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ]• ١٨ النمل•. وقيل إن هذا الوادي كان ببلادِ اليمنِ .. والنملةُ لها صوتٌ ولكنه لا يُسْمَعُ لِصغرِ خَلْقِها ، أما الأصواتُ في الطيورِ والبهائمِ فهي مسموعةٌ ومعروفةٌ .. إذن ، فالنملُ أمّةٌ من الأممِ ، ولها لغتُها التي سمعَها وعرفَها سليمانُ عليه السلامُ .. وقال أبو إسحق الثعلبي : رأيتُ في بعضِ الكتبِ أن سليمانَ قال لها : لِمَ حذّرتِ النملَ ؟ أخفْتِ ظلمي ؟ أما علمْتِ أني نبيٌّ عدلٌ ؟ فَلِمَ قُلْتِ : [لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ] فقالت النملةُ : أما سمعتَ قولي [وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ] مع أني لم أُرِدْ

حَطْمَ النفوسِ ، وإنما أردتُ حَطْمَ القلوبِ خشيةَ أن يتمنّينَ مِثْلَ ما أُعْطِيتَ ، أو يُفْتَتَنَّ بالدنيا ويُشْغَلَنَّ بالنظرِ إلى مُلْكِكَ عن التسبيحِ والذِكْرِ.. فقال لها سليمانُ : عِظِيني . فقالت : أما علمْتَ لِمَ سُمِّيَ أبوك داود ؟ قال : لا .. قالت : لأنه داوى جراحةَ فؤاده ، وهل علمتَ لِمَ سُمِّيتَ سليمان ؟ قال : لا . قالت : لأنك سليمُ الناحيةِ على ما أُوتِيتَهُ بسلامةِ صدرِك ، وإن لك أن تلحقَ بأبيك ، ثم قالت : أتدري لِمَ سخّر اللهُ لك الرِّيحَ ؟ قال : لا . قالت : أخبرَك بأن الدنيا كلَّها ريحٌ !!..

يا سبحانَ الله !! ولولا أن الله تعالى قد قصَّ في كتابه الكريمِ قصةَ سليمانَ عليه السلامُ ، لما علمْنا أن النملَ ينطقُ وأن له لغةً كما لغيرِه من الأممِ !!.. ولابد أن الله تعالى خلقَ لهذه المخلوقاتِ من الذكاءِ ما يعينُها على تنظيمِ حياتها .. فالحمارُ الذي يصفُه الناسُ بالغباءِ ليس غبيًا ، ولكنه صبورٌ ، بدليلِ أنه يحملُ صاحبَه صباحًا إلى الحقلِ دون توجيهٍ من صاحبه ، ويعودُ به إلى البيتِ آخرَ النهارِ ، ويعرفُ مكانَ طعامه وشرابِه ونومِه .. أليس هذا دليلاً على قدرٍ من الذكاء ؟!.. والحشرةُ التي تحفرُ حفرةً لتضعَ فيها بيضَها ثم تُغلقُها بطريقةٍ هندسيةٍ عجيبةٍ ، أليس هذا برهانًا على قدرٍ من الذكاء ؟!..

وقد تجدُ العجبَ أيها القارئُ في ذكاءِ القردِ .. فقد أجرى بعضُ العلماءِ تجربةً لاختبارِ مدى ذكاءِ القردِ .. فوضعوا قردًا في حجرةٍ ليس بها إلاّ بضعةُ صناديق من الكرتونِ مبعثرةً ، ثم علّقوا في سقفِ الحجرة موزةً لا يطولُها القردُ .. وأقفلوا بابَ الحجرةِ ، وراحوا ينظرون من ثقوبٍ أعدُّوها في الباب ليرَوْا كيف سيتصرّفُ القردُ ، فوجدوه يقفزُ قفزاتٍ متتاليةً ليأخذَ الموزةَ .. ولما وجدها بعيدةً عن قفزاته ، ظل فترةً ينظرُ إلى الموزةِ المعلّقةِ ثم ينظرُ إلى الصناديقِ الكرتونِ ، ثم جاء بصندوقٍ منها ووقفَ عليه وقفزَ فلم يطُلْ الموزةَ ، ثم جاء بصندوقٍ ثانٍ ووضعَه فوقَ الصندوقِ الأوّلِ ،

وصعدَ عليه ، وقفزَ ، فلم يستطعْ الوصولَ إلى الموزةِ ، فجاء بصندوقٍ ثالثٍ ووضعَه فوقَ الصندوقِ الثاني ، وصعدَ عليه ثم قفزَ ، وبذلك استطاعَ أن يأخذَ الموزةَ ، وراحَ (يُقشِّرُها) ويأكلُها ثم يرمي القشرةَ جانبًا .. فما رأيُك أيّها الإنسانُ ، أليس هذا قدرًا من الذكاءِ ؟!..

وسأحكي لك أيّها القارئُ عن أمرٍ عايشتُه بنفسي .. كان بشقتي (بضعةُ فئرانٍ) أزعجتنا وأقلقت راحتَنا .. ونصحني البعضُ بوضعِ (سمِّ الفئرانِ) على قطعٍ صغيرةٍ من الخبزِ ، ووضعِها في أركانِ الحجرةِ التي تدخلُها الفئرانُ ، ففعلتُ ، وأستيقظُ صباحًا فلا أجدُ قطعةَ الخبزِ ، فأقولُ : الحمدُ لله ، يبدو أن واحدًا من الفئرانِ قد أكلَها ، ولابد أنه ماتَ في مكانٍ ما .. وأضعُ قطعةً أخرى من الخبزِ وعليها سمُّ الفئرانِ ، وفي الصباحِ تختفي .. واستمرَّ الحالُ على ذلك عدّةَ أيامٍ ، ثم فوجئنا عند التنظيفِ تحتَ السريرِ بجميعِ قطعِ الخبزِ التي وضعنا عليها سُمَّ الفئرانِ متجاورةً ، ولم يُؤْكَلْ منها شيءٌ ، وبذلك خدعتْنا الفئرانُ بذكائِها ..

وإذا نظرْنا إلى الطيورِ فسوف نجدُ العجبَ أيضًا ، ولعلّك أيّها القارئُ قد لاحظتَ أن أسرابَ الطيور غالبًا ما تطيرُ في جماعاتٍ على شكلِ حرفِ V ويقود السِّربَ طائرٌ منها !!.. وهل يمكنُ أن يتمَّ ذلك إلاّ إذا كان هناك تفاهمٌ معيّنٌ بين الطيورِ ؟!.. ولتعلمْ أيّها القارئُ أن هناك من الطيورِ ، ما تُهاجرُ من قارّةِ أوروبا في موسمٍ معيّنٍ وتظلُّ طائرةً عبرَ البحرِ الأبيضِ المتوسط ، وتلتقطُ الأسماكَ القريبةَ من سطحِ البحرِ .. حتى تصلَ إلى شواطئِ الساحلِ الشماليِّ من قارةِ إفريقيا ، وفي وقتٍ معلومٍ تعودُ هذه الطيورُ إلى أوروبا مرّةً أخرى .. وقد أجرى بعضُ العلماءِ تجربةً في هذا الموضوعِ ، فأخذوا بعضَ صغارِ الطيورِ وأبعدوها عن أمهاتِها ، ووضعوا في أرجلِها علاماتٍ مؤرّخةً ، وعندما كبُرتْ أطلقوها في موسمِ هجرةِ الطيورِ ، فسلكتْ نفسَ المسارِ

ووصلتْ إلى ساحلِ إفريقيا الشماليّ ، حيث كان هناك من يفحصُها ويجدُ العلاماتِ المؤرخةَ في أرجلِها ، ووجدوها في موسمِ العودةِ قد عادتْ إلى موطنِها في أوروبا !!.. فمن الذي علّمَها ، وإلى ذلك المسارِ المحددِ أرشدَها ؟!..فتباركَ اللهُ أحسنُ الخالقين !!

أرأيتَ أيّها الإنسانُ أن الله تعالى ، الذي أعطاك من النعمِ ما يعينُك على حياتِك ، قد أعطى لغيرِك من مخلوقاته ما يعينُها أيضًا على حياتِها ، ووهبَها من الذكاءِ ما يكفيها لتنظيمِ شئونِها ؟!.. وإنما ميّزَك وفضّلَك على كثيرٍ ممن خلقَ تفضيلاً ..

ولعلّك اقتنعتَ الآن أيّها الإنسانُ .. أنك لستَ وحدَك الذّكيَّ !!..

أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ

إذا أراد الإنسانُ أن يجدَ ملجأً أو ملاذًا أمينًا ، ونجاةً من الشيطانِ والنفسِ والوساوسِ التي تُوسوسُ في صدورِ الناسِ ، فإنّ الملجأَ والملاذَ الأمينَ كامنٌ في ذِكْرِ اللهِ ، وهو الاطمئنانُ إلى رحمةِ اللهِ وعدلِه وحكمتِه وعلمِه .. فالشيطانُ يَعِدُ الناسَ الفقرَ ويأمرُهم بالفحشاءِ ، ولكنّ اللهَ تعالى يَعِدُ الناسَ المغفرةَ والفضلَ : [الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ، وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] "٢٦٨ البقرة"

والمؤمنُ الذي يطمئنُّ إلى رحمةِ اللهِ وعدلِه وحكمتِه وعلمِه ، يمضي في حياتِه مع ذِكْرِ اللهِ ، ثابتَ الخُطَى ، مطمئنَّ الضميرِ ، دائمَ الرّجاءِ في اللهِ ، وحَسَنَ الظَّنِّ باللهِ خالقِه ورازقِه ، واثقًا من صدقِ وعدِ اللهِ بالنّصرِ الأكيدِ لمن خاف مقامَ اللهِ ، ويقولُ تعالى :
[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا . فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ . ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ] "١٣-١٤ ابراهيم"

والذين يهديهم اللهُ إلى الإيمانِ واليقينِ ، يُدرِكون تمامًا أنّه لا راحةَ للإنسانِ ، ولا صلاحَ للمجتمعاتِ البشريةِ ولا هدوءَ للعقولِ الحائرةِ ، ولا انسجامَ مع قوانينِ الكونِ وسُنَنِه ، إلاّ بالرجوعِ إلى اللهِ !!..

والطريقُ إلى ذلك الهدفِ الأسمى ، لا يتمُّ إلاّ عن سبيلٍ واحدٍ لا سبيلَ غيره ، وهو ذِكْرُ اللهِ والعودةُ إلى منهجِ اللهِ الذي وضعه في كتابه الكريمِ !!..

وإذا لم يكن كتابُ اللهِ هو الفيصلُ وهو الحَكَمُ والمرجعُ في كلِّ شئونِ الحياةِ الإنسانيةِ ، فإنّ الإنسانَ سيحصدُ وبئسَ الحصادُ ، الفسادَ في البرِّ والبحرِ ، بل وفي الجوِّ أيضًا ، ويكونُ الحصادُ شقاءً وتعاسةً ، ثم يعيشُ الإنسانُ في جاهليةٍ تعبدُ النفسَ والهوى من دونِ اللهِ ، وذلك هو الخسرانُ المبينُ ، ويقولُ تعالى :[فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ . وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ . إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] "٨٠ القصص"

فالقرآنُ الكريمُ الذي أنزله اللهُ شفاءً ورحمةً للمؤمنين ، هو سرُّ سعادةِ البشريةِ ، لأنّه يهدي إلى الحقِّ والنورِ . ويقولُ تعالى : [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا] "٩ الإسراء" ويقولُ تعالى أيضًا : [وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ] "٨٢ الإسراء"

وفي منهجِ اللهِ وشريعةِ القرآنِ الكريمِ ، أنشأ اللهُ للإنسانِ تصوُّرًا قَـيِّمًا عن الحياةِ والوجودِ والقيَمِ والنُّظُمِ الاجتماعيةِ السعيدةِ التي تُبْنَى على الحبِّ والإخاءِ والمساواةِ بين الناسِ جميعًا ، وجعلَ هذا التصوُّرَ واقعًا من الإيمانِ والنظافةِ والجمالِ والرُّقِيِّ ، والسهولةِ واليُسْرِ ، والتعاطفِ والتراحمِ ، والتوازنِ والتناسُقِ ، حتى يحيا الإنسانُ في ظلِّ منهجِ اللهِ حياةً هانئةً سعيدةً في الدنيا ، ثم حياةً هي قِمَّةُ السعادةِ الأبديةِ في نعيمِ الآخرةِ !!..

فإذا استطاع الإنسانُ أن يجعلَ هذه الحقائقَ ماثلةً أمام عينيه ، وراسخةً في قلبه ، وذَكَرَ اللهَ دائمًا ، فإنّ قلبَه سيمتلئُ بالطمأنينة ، ولا تنالُ منه الدنيا ، ولا تأخذُه مباهجُها ، ولا تَهزُّه الأهوالُ . وصدق اللهُ تعالى إذ يقولُ : [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] صدق اللهُ العظيمُ ."٢٨ الرعد"

أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ

اللهمَّ ياربَّنا ، إنّنا نحمدُك ونمجّدُك ونذكرُك ، وأنت ترانا ولا نراك ، ونسألُك الجنّةَ بحقِّ حبِّك لنا وحبِّنا لك ، ونعوذُ بك من النارِ بحقِّ رحمتِك التي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ ، ونسألُك العفوَ والمغفرةَ ، يا من قلتَ وقولُك الحقُّ والصّدقُ : [وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ] ، وتقبّلْ توبتَنا إنّك أنت التوّابُ الرحيمُ .. ولقد بلَغَنا عن رسولِك الحبيبِ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ، أنك تغفرُ لمن حَمِدَكَ ومجدك وذَكَرَكَ ، وأنّك تُشْهِدُ ملائكتَك أنّك قد غفرتَ لهم .. اللهمَّ بفضلِك وكرمِك ورحمتِك ، اجعلْنا من هؤلاء السعداءِ من عبادِك الذين تغفرُ لهم .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ هُوَ شَكَّ يَعْنِي الأَعْمَشَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ فُضُلاً عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ اللَّهُ أَيَّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيَذْكُرُونَكَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي فَيَقُولُونَ لاَ فَيَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيدًا وَتَمْجِيدًا وَذِكْرًا فَيَقُولُ فَأَيَّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ فَيَقُولُونَ يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ فَيَقُولُونَ لاَ فَيَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا قَالَ فَيَقُولُ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَوَّذُونَ فَيَقُولُونَ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا فَيَقُولُونَ لاَ قَالَ فَيَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا هَرَبًا وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا قَالَ فَيَقُولُ إِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ

غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ فَيَقُولُونَ فَإِنَّ فِيهِمْ فُلاَنًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُ هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) !!..

لقد فاقَ كرمُك يا ربَّنا كلَّ كرَمٍ ، حتى تغفرَ لجليسِ عبادِك الحامدين الذاكرين ، ولو كان خطّاءً !!..

ما أعظمَك يا ربّنا وما أكرمَك وما أرحمَك !!.. أبعد كرمِك هذا نطمعُ في كرمِ غيرِك ؟!.. أبعد رحمتِك هذه ننتظرُ رحمةً من سواك ؟!.. أبعد غفرانِك ألا نكونُ في الدنيا من الزاهدين ، وفي الآخرةِ من الراغبين ، وفي الجنّةِ من الطالبين ؟!.. ولك وللقائك من المحبّين ؟؟!!..

اللهمَّ إننا نحبُّك حبًّا لا نحبُّه سواك ، ولا نبتغي من أعمالِنا إلاّ رضاك ، ودعَوْناك فاستجبْ لمن بالحبِّ والرّجاءِ وحُسْنِ الظَّنِّ بك قد دعاك ..

اللهمَّ إننا نسألُك أن تجعلَنا من أهلِ الآخرةِ ، وممن يستحقون الرحمةَ والمغفرةَ !!..

رحمةُ اللهِ في قلوبِ مخلوقاته !!..

سبحانك يا اللهُ ! يارحمنُ يارحيمُ ! .. يامن سَبَقَتْ رحمتُك غضبَك !.. يامن وَسِعَتْ رحمتُك كلَّ شيءٍ ، من إنسانٍ ، وحيوانٍ وطيرٍ وحشرةٍ !.. يامن تجلَّتْ رحمتُك في مخلوقاتك ، ووزعْتَ جزءًا من رحمتك في قلوبِ جميعِ من خلقتَ ، فألانَتْ قلوبَ الآباءِ والأمهاتِ لأولادهم ،

وحنَّنتْ قلوبَ الوحوشِ الكاسرةِ لصغارِها ، والحشراتِ السّامّةِ لبيضها !.. فتباركتَ يا اللهُ يا أحسنَ الخالقين ، ويا أرحمَ الراحمين !..

إنَّ رحمةَ اللهِ التي وضعها في قلوبِ الآدميين ، تجعلُ الآباءَ يكدُّون ويتعبون ، ليوفِّروا لأبنائهم ما إليه يحتاجون ، ويُعطونهم ولا يبخلون ، وعليهم يخافون .. وصدق من قال : إنَّ الأولادَ مَجْبَنَةٌ ومَبْخَلَةٌ ومحزنَةٌ لآبائهم !!.. وجبنُ الآباءِ سببُه الخوفُ على الأبناءِ ، فالأبُ إن كان فقيرًا قد يتحمّلُ غطرسةَ رؤسائه في العملِ واستبدادَهم ، ويكظمُ غيظَه ، ويُخفي غضبَه ، حرصًا على لقمةِ عيشِه من أجلِ أبنائه ، ويخشى حوادثَ الطُّرُقِ ، ويتلفّتُ في كلِّ اتجاه ، قبل أن يعبرَ الطريقَ ، خوفًا على حياته التي وهبَها لأبنائه ، بعكسِ من لا أبناءَ له ، فإنه يكونُ أكثرَ شجاعةً وأشدَّ جراةً ، في التعاملِ مع رؤسائه ، وفي عبورِ الطرقِ ، والإقدامِ على المخاطرِ والمغامرات !

أما بُخْلُ الآباءِ فهو بخلٌ خاصٌّ ومحمودٌ ، وليس كالبخلِ المنبوذِ والمَنْهِيِّ عنه ، وليس بخلاً على الناسِ ، والمقصودُ ببخلِ الآباءِ هو بخلُهم على أنفسِهم ، وإيثارُهم أبناءَهم على أنفسِهم ، فتجدُ الأبَ الفقيرَ يُوفِّرُ لأبنائه نفقاتِ تعليمِهم ، كما يختارُ لهم أحسنَ الملابسِ في حدودِ أقصى طاقاته ، حتى لا يشعروا بأنّهم أقلُّ من زملائهم في المدارسِ والجامعاتِ ، حتى ولو كان ذلك على حسابِ مظهرِه وملبسِه ومأكلِه ! وحتى لو استدان من أجلِ ذلك !

أما المحزنةُ فمعناها الحزنُ الذي يُسيطرُ على الآباء إذا تعرّضَ أحدُ أبنائه لألمٍ أو لمرضٍ أو حتى لمجرّد ارتفاعٍ طفيفٍ في درجةِ حرارته ، فيسارعُ بعرضه على الأطباء ، ويسهرُ الليلَ بجانبه ليرعاه وليعطيَه الدّواءَ ، ولا يتبدّدُ حزنُه ، ولا يروقُ له بالٌ إلاّ بعد أن يتمَّ لابنه كاملُ الشفاءِ !

والأبُ عندما يُؤثِرُ أبناءَه على نفسه ، لا يجدُ غضاضةً في ذلك ، بل يفعلُ ما يفعلُه عن طيبِ خاطرٍ ورضاءِ نفسٍ ، بل إنه يشعرُ بسعادةٍ تعبّرُ عن ارتياحِ عاطفةِ الأبوّةِ التي أودعها اللهُ في قلبه نحو أبنائه ! هذه الأبوّةُ التي هي انعكاسٌ لرحمةِ اللهِ التي جعلها في قلوبِ الآباءِ !

وقد ينفصلُ الأبُ عن الأمّ لسببٍ من الأسباب ، فيحتضنُ الأبُ أبناءَه ، وتتضاعفُ قوّةُ عاطفته نحوهم حتى يُعوّضَهم حنانَ أمّهم الذي فقدوه ، ويُصبحُ لهم أبًا وأمًّا في وقتٍ واحدٍ ، ومهما ثقلتْ عليه المسئوليةُ وتضاعفت الأعباءُ ، فهو لا يكلُّ ولا يمَلُّ ، ولا يكونُ له أملٌ إلاّ أن يُوفّقَه اللهُ لأداءِ رسالته نحو أبنائه حتى يطمئنَّ عليهم ، ويراهم وقد وُفّقُوا ووقفوا على أرجلِهم واعتمدوا على اللهِ ثم على أنفسِهم ، ولم يعودوا في حاجةٍ إلى أحدٍ !

أما الأمُّ فقد وضع اللهُ في قلبها رحمةً أكبرَ وعاطفةً أقوى نحو أبنائها ، هي عاطفةُ الأمومةِ ، تلك العاطفةُ القويّةُ التي تجعلُ الأمّ أيضًا تُؤثِرُ أبناءَها على نفسها ، وتضطرُّها إلى تحمّلِ المشاقّ مهما صعُبَتْ ، وإلى بذلِ التضحيات مهما غَلَتْ ، وإلى التغاضي عن سعادتها واستمتاعها بحياتها ، في سبيلِ سعادة أبنائها واستمتاعهم بحياتهم ، وبناءِ مستقبلِهم وتحقيقِ طموحاتِهم ، هذه العاطفةُ التي تجعلُ الأمَّ تُؤمنُ بأنّ مستقبلَها قد

أصبح في مستقبلِ أبنائِها ، وأنّ سعادتَها قد ذابت في سعادتِهم ، ولا ترى مستقبلاً ولا سعادةً ولا هناءً إلاّ في مستقبلِهم وسعادتِهم وهنائِهم !

وقد يحدثُ أن يكونَ الأبُ قاسيًا أو منحرفًا أو مقتّرًا أو جاهلاً بواجباته نحو أبنائه ، وهذا من الأمورِ الشاذةِ والنادرةِ ، فنجدُ الأمَّ تُعوِّضُ ذلك بأن تُضاعفَ من حرصِها واحتضانِها لأبنائِها ، وتتحمّلُ الأهوالَ ، مهما ساءت بها الأحوالُ ، وقد تعملُ وتسعى لكسبِ عيشِها دون اللجوءِ إلى زوجِها أو أهلِها .. وقد يموتُ الزوجُ فتُحرِّمُ الزواجَ على نفسِها ، وتُكرِّسُ حياتَها لأبنائِها حتى يكبروا وتطمئنَّ عليهم وعلى مستقبلِهم ، وعندئذٍ فقط تشعرُ بالسعادةِ والارتياحِ !

وعن عائشةَ رضي اللهُ عنها قالت : جاءتني مسكينةٌ تحملُ ابنتين لها فأطعمتُها ثلاثَ تمراتٍ ، فأعطتْ كلَّ واحدةٍ منهما تمرةً ورفعتْ إلى فيها تمرةً لتأكلَها ، فاستطعمَتْها ابنتاها فشقّت التمرةَ التي كانت تريدُ أن تأكلَها بينهما ، فأعجبني شأنُها ، فذكرْتُ الذي صنَعَتْ لرسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقال : (إنّ اللهَ عزّ وجلّ قد أوجبَ لها بها الجنّةَ أو أعتقَها من النّارِ) .

لقد آثرَتْ الأمُّ ابنتيها على نفسِها ، ولم تشعرْ إلاّ بالسعادةِ ، وكَسَتْ ابتسامةُ الفرحِ وجهَها ، وهي ترى ابنتيها سعيدتين بحلاوةِ التمرِ !!..

هذه الرحمةُ الإلهيّةُ التي أودعها اللهُ تعالى في قلوبِ الأمّهاتِ ، والتي تتمثّلُ في عاطفةِ الأمومةِ ، ليست قاصرةً على بني آدمَ وحدَهم ، ولكنّها واضحةٌ في قلوبِ أمّهاتِ الحيواناتِ الأليفةِ والمفترسةِ على السواءِ ، فتجدُ أنثى الأسدِ أو أنثى النمرِ أو أنثى الذئبِ ، وهي تُرضِعُ صغارَها وكأنّها حيواناتٌ أليفةٌ ، ويملأُ عيونَها الحنانُ ، وتمسحُ بلسانِها أجسامَ صغارِها وكأنّها تنظّفُهم ، وتُلاعبُهم وتحنو عليهم !.. فإذا أحسّتْ بخطرٍ

يتهدّدُهم ذهب حنانُها واختفتْ أُلفتُها ، وبدتْ الشراسةُ على وجهِها وكشّرتْ عن أنيابِها ، استعدادًا للدفاعِ عن صغارِها ، ومهاجمةِ عدوِّها ، مهما كانت قوّته ومهما بلغتْ شراستُه ! وقد تُقاتلُ حيوانًا أقوى وأشرسَ منها ، حتى تموتَ دون أن تُفرِّطَ في الدّفاعِ عن صغارِها !!.. ولعلّ منا من رأى القطّةَ التي تلدُ ، ثم تختبئُ بصغارِها في مكانٍ آمنٍ ، فإذا أحسّتْ بخطرٍ ، نقلتْ صغارَها واحدًا بعد آخرَ بحملِه بأسنانِها ، ولو أدَّى بها الأمرُ أن تقفزَ به من سطحٍ إلى آخرَ ، حتى تجدَ مكانًا أكثرَ أمنًا تطمئنُّ فيه على صغارِها !

وفي الطيورِ تجدُ هذه الرحمةَ متجسّمةً في تناوبِ الذكورِ والإناثِ على الرّقادِ على البيضِ ، لتدفئته والمحافظةِ عليه ، وكذلك في طريقةِ إطعامِها للصغارِ .. وإذا فوجئَ الطائرُ بفقدان صغارِه ، فإنه ينوحُ ويحزنُ كما ينوحُ ويحزنُ الإنسانُ ! .. ويُحكَى أنّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم كان مع بعضِ صحابتِه ، وتركهم لقضاءِ حاجةٍ ، وعندما عادَ وجد طائرًا يحومُ حول المكانِ في لهفةٍ وذعرٍ وهياجٍ ، فتألّم النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم لتألّمِ الطائرِ وظهر عليه الغضبُ ، وقال لأصحابِه :(من فجَعَ هذه بولدِها ؟! رُدُّوا إليها وَلَدَها) !!

وتتجلّى هذه الرحمةُ أيضًا في قلوبِ الحشرات التي تحفرُ الحفْراتِ العميقةَ ، ثم تضعُ فيها بيضَها ، ثم تطيرُ وتأتي على دفعاتٍ تحملُ قِطَعًا صغيرةً من الطينِ الذي تبني به غطاءً للحفرةِ التي تضعُ فيه البيضَ ، حتى لا يتعرّضَ للاعتداءِ أو التلفِ !!

سبحان من ألهم هذه المخلوقاتِ جميعَها ، من إنسانٍ وحيوانٍ وطيرٍ وحشراتٍ ، لتسلكَ هذه السلوكياتِ !! وسبحان من أودعَ في قلوبِها هذه العواطفَ القويّةَ التي تُجسّدُ رحمةَ اللهِ بمخلوقاتِه !!

إنّ الصّلةَ الروحيّةَ بين قلوبِ الأمّهاتِ وأبنائِها ، قد حيّرت العلماء في فهمِ أسرارِها ، فقاموا بأجراءِ تجربةٍ حيّرتْهم نتيجتُها أكثرَ وأكثرَ ، فقد وضعوا "أرنبةً" في موقعٍ يقعُ على شاطئِ البحرِ ، وأوصلوا بجسدِها بعضَ الأسلاكِ التي تتصلُ في نهايتِها بجرَسٍ ، ثم أخذوا بعضَ صغارِها ووضعوها في غوّاصةٍ هبطتْ إلى أعماقٍ بعيدةٍ في البحرِ ، واتّفقوا على توقيتٍ محدَّدٍ بالثانيةِ ، يقومون فيه بوخزِ الصغارِ الموجودةِ في الغوّاصةِ ، بإبرةٍ في أجسامِها ، فوجدوا الأرنبةَ الأمَّ في نفسِ اللحظةِ يرتجفُ بدنُها وترتعدُ بشدّةٍ ، وتسري هذه الرعدةُ في الأسلاكِ الموصَّلَةِ بجسدِها ، فيدقُّ الجرسُ في كلِّ مرّةٍ يُوخزون فيها أحدَ صغارِها !! واستدلّوا بهذا على وجودِ صلةٍ لاسلكيةٍ واتّصالٍ شعوريٍّ في غايةِ الحساسيةِ بين قلوبِ الأمّهاتِ وأبنائِهنّ ! وما هذا إلاّ صورةٌ من صورِ الرحمةِ التي أودعها ربُّ العبادِ في قلوبِ مخلوقاته !!

وعن أبي سعيدٍ رضيَ اللهُ عنه ، أنّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : **(خَلَقَ اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرضِ مائةَ رحمةٍ ، فجعلَ في الأرضِ منها رحمةً ، فيها تعطفُ الوالدةُ على ولَدِها ، والبهائمُ بعضُها على بعضٍ ، والطَّيرُ ، وأخّرَ تسعةً وتسعين إلى يومِ القيامةِ ، فإذا كان يومُ القيامةِ أكملَها اللهُ بهذه الرحمةِ) !! ..**

وإذا كانت هذه الرحمةُ الكبيرةُ التي أودعها اللهُ في قلوبِ مخلوقاته في الدنيا ، جزءًا من مائة ، فما بالُنا ببقيّةِ الرحمةِ التي سيشملُ بها خَلْقَه يومَ القيامة ؟؟!!.. ولو تأمّلَ الإنسانُ ذلك وأعملَ عقلَه وفكرَه ، لآمَنَ وصدَّقَ وأيقنَ بأنّ الله تبارك وتعالى يُحبُّ عبادَه ويشملُهم برحمته .. فكيف بعد ذلك لا نستحي من اللهِ ؟!.. وكيف بعد كلِّ هذه الرحمةِ الواسعةِ لا نُحبُّه ؟!..

اللهمَّ إننا نحبُّك ، فبحقِّ حبِّنا لك ، كن لنا محبًّا ، وسبحان الخلاّقِ العظيمِ ، وتباركتَ يا اللهُ ، يارحمنُ يارحيمُ !!..

عَرَفْتُكَ يَا اللهُ .. فَأَحْبَبْتُكَ !!

عَرَفْتَ اللهَ فِي الْغُصـنِ وَالشَّجَرِ — عَرَفْتَ اللهَ فِي الشَّـمْسِ وَالْقَمَرِ
وَخَـلْقُ اللهِ بُرْهَـانُ خَـالِقِهِمْ — كَمَا الْمَـاءُ دَلِيـلٌ عَلَى النَّهْـرِ
انْظُرْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي سَـطَّحَهَا — وَإِلَى السَّمَاءِ وَالْفُلْكِ فِي الْبَحْـرِ
وَالدِّيكُ يَصِـيحُ مُسَبِّحًا رَبَّـهُ — اللهُ أَكْبَـرُ مَـعَ نَسْـمَةِ الْفَجْـرِ
وَكُلُّ مَخْـلُوقٍ يَكْفُلُ رِزْقَـهُ — وَيَرْزُقُ الدُّودَ فِي قَلْبِ الْحَـجَـرِ
تَرَى اللهَ فِي عَظَـمَةِ خَـلْقِهِ — وَنُـورُ اللَّيْـلِ يَأْتِينَـا مِنَ الْبَـدْرِ
وَكُلُّ مَا سِوَى الْخَالِقِ مَخْلُوقٌ — تَبَـارَكَ اللهُ خَـالِـقُ الْبَشَـرِ
فَإِذَا مَا ضَـاقَت الدُّنْيَا بِوَجْهِي — فَالأَمْـرُ لِلَّـهِ وَلَيْسَ مِنْ أَمْـرِي
وَالْحَـمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ هَدَانِي — آمَـنْـتُ بِاللَّـهِ ثُـمَّ بِالْقَـدَرِ

يا ربِّي .. يا حبيبي .. عرفتُك في مخلوقاتك فأدركتُ عظمتَك وكمالَ قدرتك ، كما رأيتُ عطفَك ورحمتَك بعبادك الذين سخرتَ لهم كلَّ ما في الدنيا لخدمتهم ، وجعلتَ الكثيرَ من الأدلّة والبراهينِ التي تدلُّهم على عظمتِك وقدرتِك ووحدانيتِك ، ولكنهم عن كلِّ ذلك معرضون !!

وقرأتُ قولَك الحقَّ [وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ] ° ١٠٥ يوسف ° وعجبًا للعباد الغافلين !! فكم من الدلائلِ والبراهينِ يرَوْنَها في السماواتِ والأرضِ ، والتي تدلُّ على عظمتِك وكمالِ قدرتك ، ولكنهم عن هذه الآياتِ غافلون ومعرضون عن التأمّلِ والتفكّرِ في بديعِ خلقِك !!..

إن القرآنَ حقّ ، ومن أنزلَه قادرٌ على الكمالِ .. وكلما نظرتُ في مصنوعاتك ومخلوقاتك يا ربِّي أيقنتُ كمالَ قدرتك ، وزاد إيماني بألوهيتك ووحدانيتك ..

أنظرُ إلى السماءِ وأتأمّلُ ، فأقولُ لا إلهَ إلاّ اللهُ ، وأتذكّرُ قولَك الحقَّ : [اللهُ الَّذي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ] " ٢ الرعد " .. وعرفتُ يا ربِّي معنى : [بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا] أي أنها مرفوعةٌ بغيرِ عمدٍ نراها بأعيننا أو بأن لها عُمُدًا ولكننا لا نراها .. وسواءً كانت بعمدٍ غيرِ مرئيةٍ لنا ، أو بغيرِ عمدٍ ، فقد آمنّا بكمالِ قدرتك !!..

وأرى الشّمسَ بنورِها نهارًا ، والقمرَ بضوئِه ليلاً ، يَسْبَحَان في نظامٍ دقيقٍ وثابت ، فأقولُ : لا إلهَ إلاّ اللهُ ، وأتذكّرُ قولَك يا ربِّي : [وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى . يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ] " ٢ الرعد " .. ما أكرمَك وما أرحمَك يا ربِّي ، فقد سخّرتَ الشمسَ والقمرَ لمنافعِ خلقِك ومصالحِ عبادِك .. وهما يجريان إلى وقتٍ معلومٍ ، وهو فناءُ الدنيا ، وقيامُ الساعةِ .. وربما أردتَ بالأجلِ المسمَّى ، درجاتِهما ومنازلَهما ، التي ينتهيان إليها لا يجاوزانِها .. فالقمرُ يقطعُ فلكَه في شهرٍ ، والشمسُ في سنةٍ .. وسبحانك يا ربِّي ، فإنك تدبِّرُ الأمرَ ، أي تصرِّفُه على ما تريدُ ، وتبيِّنُ لنا الآياتِ .. وإننا يا ربَّنا بلقائِك لموقنون !!..

وأنظرُ إلى الأرضِ المبسوطةِ طولاً وعرضًا ، وما عليها من جبالٍ راسياتٍ ، وما فيها من أنهارٍ جاريةٍ فيها منافعُ للخلقِ ، من طعامٍ وشرابٍ ، وما تحملُه الأنهارُ من بواخرَ وسفنٍ ، فأدركُ كرمَك لعبادِك ، فأقولُ : لا إلهَ إلاّ اللهُ !!..

وأنظرُ إلى كلِّ الثمراتِ التي نبتتْ من الماءِ في الأرضِ ، مع اختلافِ طعمِها ولونِها وحجمِها ، كالحلوِ والحامضِ ، والرطبِ واليابسِ ، والأبيضِ والأسودِ ، والصغيرِ والكبيرِ .. فتباركتَ يا اللهُ يا أحسنَ الخالقين ، وأتذكّرُ قولَك الكريمَ :[وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ] ٣ الرعد ..

وأتأمّلُ يا ربّي في القطعِ المتجاوراتِ ، وهي المدنُ والقرى العامرةُ بالخيراتِ ، وأرى ما فيها من نعمك التي لا تُحصى ، كالأعنابِ والزروعِ والنخيلِ ، فأقولُ : لا إله إلاّ اللهُ [وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ] !! .. ما أعظمَ قدرتك يا ربّنا !!.. وكما أن من بني آدمَ الصالحَ والطالحَ ، فكذلك من الماءِ العذبِ ، ينبتُ الحلوُ والمرُّ ، والحارُّ والباردُ ، والرطبُ والجامدُ ، فما أعظمَ الصانعِ والواجدِ ، الصمدِ والأحدِ الواحدِ !!.. وفي كلِّ ذلك دلائلُ وبراهينُ ، لمن كان له عقلٌ يفهمُ ، وقلبٌ يؤمنُ ويعلمُ .. وصدقَ اللهُ إذ يقولُ : [إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] ٤ الرعد ..

وعرفتُ كرمَك ورحمتَك في ماءِ العيونِ التي لا دخلَ للإنسانِ في صنعها ، فهو يخرجُ من عيونٍ في جدرانٍ من الطينِ ، ويكونُ نقيًا لا شوائبَ ولا طينَ فيه ، ويكونُ دافئًا في الشتاءِ وباردًا في الصيفِ ، هنيئًا للشاربين .. وقلتُ : لا إلهَ إلاّ اللهُ .. وأنظرُ إلى الجبالِ العاليةِ وأظنُّها ثابتةً لا تتحرّكُ ، ويخبرُنا كتابُك الكريمُ أن هذه الجبالَ تمرُّ أي تسيرُ كما يسيرُ السحابُ الذي ندركُ سيرَه ونراه بأعيننا .. وبما أن الجبالَ تسيرُ وتتحرّكُ ، وهي ملتصقةٌ بالأرضِ ، فهذا دليلٌ على أن الأرضَ تتحرّكُ .. وأقولُ : لا إلهَ إلاّ اللهُ .. وفي هذه الآيةِ دليلٌ على حركةِ الأرضِ ، التي لم يصلْ إلى حقيقتِها العلماءُ إلاّ بعد نزولِ القرآنِ الكريمِ بكثيرٍ، على النبيِّ الأُمّيِّ الذي لا يقرأُ ولا يكتبُ .. فكيف يدّعي المدّعون ، أن القرآنَ من تأليفِ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ، أو من صنعِ بشرٍ ؟!..

[وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ] • ٨٨ النمل •

ورأيتُ رحمتَك بعبادك حينما تعلّمتُ أن هناك استثناءً للماء من قوانين الطبيعة التي تقولُ إنّ جميعَ الموادِ الصلبة والسّائلة والغازيّة تتمددُ بالحرارة وتنكمشُ بالبرودة .. إلاّ الماءَ فهو يبدأُ في التمددِ إذا قلّتْ درجةُ حرارته ووصلتْ إلى أربعِ درجاتٍ مئوية ، وهذا ما يجعلُ أسطحَ البحيراتِ والأنهارِ في البلادِ شديدة البرودة تتجمّدُ ، بينما لا يتجمّدُ الماءُ في أعماقِ البحيراتِ والأنهارِ .. ولقد استثنيتَ يا ربّي الماءَ من هذا القانونِ الطبيعيِّ الذي ينطبقُ على جميعِ الموادِ ، حتى لا تموتَ الثروةُ السمكيةُ في باطنِ هذه البحيراتِ والأنهارِ ، التي يعيشُ عليها سكانُ هذه المناطقِ الباردةِ ، فما أرحَمَك يا ربّي وما أكرمَك وما أحكمَك !!.. ولا إلهَ إلاّ اللهُ !!..

وعندما نسمعُ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال : (من قالَ سبحانَ اللهِ وبحمدِه في يومٍ مائةَ مرّةٍ ، حُطَّتْ عنه خطاياه وإن كانت مثلَ زَبَدِ البحرِ) .. فنقولُ : لا إلهَ إلاّ اللهُ .. وما أعظمَ كرمك يا ربّي !!.. عبارةُ (سبحانَ اللهِ وبحمدِه) .. تُقالُ في يومٍ واحدٍ مائةَ مرةٍ ، يُغفَرُ لقائلها حتى ولو كانت كزبدِ البحرِ !!.. أليس هذا بابَ رحمةٍ تفتحُه لعبادِك العاصين والمذنبين ، لكي يطمئنوا إلى سعة رحمتك فيتوبوا ويعودوا إليك ؟؟!!..

كيف لا نحبُّك ونحن نرى رحمتَك الواسعةَ تشملُ العاصين والمذنبين إذا قالوا (سبحانَ اللهِ وبحمدِه) في يومٍ مائةَ مرةٍ ؟!..

إنني أتخيّل إنسانًا ، ارتكب ذنبًا في الدنيا ، فوقف أمامَ قاضٍ في محكمةٍ دنيويةٍ ، وقال أمامَ القاضي (سبحانَ اللهِ وبحمدِه) ألفَ مرّةٍ ، فلن يَغفِرَ له .. أما أنت ، ياقاضيَ

القضاة وخالقَهم ، فيكفي أن يقولَ المذنبُ (سبحانَ اللهِ وبحمدِه) مائةَ مرةٍ ، فتغفرُ له كلَّ خطاياه .. فما أرحَمك !!..

كيف لا نحبُك ، ورسولُك الكريمُ يُطَمْئِنُ المؤمنين بأن مثقالَ ذرةٍ من خردلٍ من إيمانٍ في قلبِ مؤمنٍ كفيلةٌ بإخراجِه من النارِ ؟!.. فعن أبي سعيدٍ الخدريِّ أن نبيَّك صلى اللهُ عليه وسلم قال : (يدخلُ أهلُ الجنّةِ الجنّةَ وأهلُ النارِ النارَ ، ثم يقولُ اللهُ تعالى : أَخرِجُوا من النارِ من كان في قلبِه مثقالُ ذرّةٍ من خردلٍ من إيمانٍ فَيُخرَجُون) .. اللهَ اللهَ يارحمةَ اللهِ !!..

كيف لا نحبُك يا رحمنُ ؟! .. وأنت تبشّرُ عبادَك بأنك تغفرُ لمن تشاءُ من عبادِك مهما كانت ذنوبُهم ما دامت دون الشِّرْكِ بك ، في قولِك الكريمِ : [إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بَاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا] ٤٨ النساء . وعن معاذٍ رضي اللهُ تعالى عنه قال : كنتُ رِدْفَ (أي رفيقَ) النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم على حمارٍ يُقالُ له " عُفَيْرٌ "، فقال : (يا معاذُ ، هل تدري حقَّ اللهِ على عبادِه ، وما حقُّ العبادِ على اللهِ ؟ قلتُ : اللهُ ورسولُه أعلمُ ، قال : فإن حقَّ اللهِ على العبادِ أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا ، وحقَّ العبادِ على اللهِ أن لا يُعذِّبَ من لا يُشرِكُ به شيئًا ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ، أفلا أُبَشِّرُ به الناسَ ؟ قال : لا تبشرْهم فيتّكلوا) !!..

أحبُك يا ربِّي ، بقدرِ نعَمِك عليَّ وعلى خَلْقِك .. أحبُك بقدرِ عددِ شَعْري ، أحبُك بقدرِ ما يُفكِّرُ عقلي ، أحبُك بقدرِ ما تحفظُ ذاكرتي ، أحبُك بقدرِ ما يحمي الرِّمْشُ عيني ، أحبُك بقدرِ ما ترى عيني ، أحبُك بقدرِ ما يستنشقُ من ذرّاتِ الهواءِ

أنفي ، أحبُّك بقدرِ الحروفِ التي ينطقُ بها لساني ، أحبُّك بقدرِ ما يدخلُ من الطعامِ والشرابِ فمي ، أحبُّك بقدرِ ما يسيلُ لُعابي فيلِيّنُ طعامي ، أحبُّك بقدرِ ما تمضغُ وتطحنُ أسناني ، أحبُّك بقدرِ ما تَهضمُ معدتي ، أحبُّك بقدرِ الدّمِ وما يقومُ به في عروقي ، أحبُّك بقدرِ ما ينبضُ قلبي ، أحبُّك بقدرِ ما يضمُّ صدري ، أحبُّك بقدرِ طولِ ومهمّةِ أعصابي ، أحبُّك بقدرِ عددِ وقوّةِ عضلاتي ، أحبُّك بقدرِ مفاصلي وتثنّياتي ، أحبُّك بقدرِ ذراعَيَّ وحركاتي ، أحبُّك بقدرِ رِجْلَيَّ وعددِ خُطواتي ، أحبُّك بقدرِ يَدَيَّ وقبضاتي ، أحبُّك بقدرِ أصابعي ولمساتي ، أحبُّك بقدرِ ما في جسدي من نِعْماتٍ !!!

ربّي .. إن دلائلَ رحمتك وإحسانك لعبادك كثيرةٌ كثيرةٌ !!.. وإن نعمةً واحدةً من نعمك علينا ، لكفيلةٌ بأن نحبّك من أجلها .. فما بالُنا بنعمك علينا ، التي لا تُحصَى ولا تُعدُّ ؟!.. اللهم إني أحبُّك حبًّا لذاتك ولأنك أنت المُنعمُ .. فإن كنتُ لك يومًا عاصيًا ، فأنت الرحمنُ الرحيمُ ، وأنت الإلهُ الأكرمُ .. وأحبُّك ياربّي كما أَحَبّكَ العارفون ، وأين أنا منهم ؟!.. وأقولُ كما قالت في حبّك رابعةُ العدويةُ :

عَرَفْتُ الْهَوَى مُذْ عَرَفْتُ هَوَاكَ ... وَأَغْلَقْتُ قَلْبِيَ عَمَّنْ عَدَاكَ

وَرُحْتُ أُنَاجِيكَ يَامَنْ تَرَى ... خَفَايَا الْقُلُوبِ وَلَسْنَا نَرَاكَ

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبَّ الْهَوَى ... وَحُبًّا لأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَ

فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَى ... فَشُغْلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ

وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ ... فَكَشْفُكَ لِيَ الْحُجُبَ حَتَى أَرَاكَ

فَلا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلاَ ذَاكَ لِي ... وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ

!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

دُعَـــاءٌ

اللهمَّ إني أسألُك بأنّ لك الحمدَ لا إلهَ إلاّ أنتَ وحدَك لا شريكَ لك ، الْمَنَّانَ ، بديعَ السَّماواتِ والأرضِ ، ذا الجلالِ والإكرامِ !

اللهمَّ إني أسألُك بأنّ لك الحمدَ لا إلهَ إلاّ أنت وحدَك لا شريكَ لك ، الْمَنَّانَ ، بديعَ السَّماواتِ والأرضِ ، ذا الجلالِ والإكرامِ !

اللهمَّ إني أسألُك بأنّ لك الحمدَ لا إلهَ إلاّ أنت وحدَك لا شريكَ لك ، الْمَنَّانَ ، بديعَ السَّماواتِ والأرضِ ، ذا الجلالِ والإكرامِ !

اللهمَّ أنتَ ربِّي لاإلهَ إلاّ أنتَ ، خلَقْتَني وأنا عبدُك ، وأنا على عهدِك ووَعْدك مااستطعتُ ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ ، أبوءُ لك بنعمتِك عليّ وأبوءُ بذنبي ، فاغفِرْ لي ، فإنّه لا يغفِرُ الذُّنوبَ إلاّ أنتَ !

اللهمَّ أنتَ ربِّي لاإلهَ إلاّ أنتَ ، خلَقْتَني وأنا عبدُك ، وأنا على عهدِك وطاعتك مااستطعتُ ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ ، أبوءُ لك بنعمتِك عليّ وأبوءُ بذنبي ، فاغفِرْ لي ، فإنّه لا يغفِرُ الذُّنوبَ إلاّ أنتَ !

اللهمَّ أنتَ ربِّي لاإلهَ إلاّ أنتَ ، خلَقْتَني وأنا عبدُك ، وأنا على عهدِك ووعدك مااستطعتُ ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ ، أبوءُ لك بنعمتِك عليّ وأبوءُ بذنبي ، فاغفِرْ لي ، فإنّه لا يغفِرُ الذُّنوبَ إلاّ أنتَ !

أستغفرُ اللهَ العظيمَ الذي لا إلهَ إلاّ هو الحيُّ القيّومُ وأتوبُ إليه !

أستغفرُ اللهَ العظيمَ الذي لا إلهَ إلاّ هو الحيُّ القيّومُ وأتوبُ إليه !

أستغفرُ اللهَ العظيمَ الذي لا إلهَ إلاّ هو الحيُّ القيّومُ وأتوبُ إليه !

بسمِ اللهِ الذي لا يضُرُّ مع اسمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السّماءِ وهو السّميعُ العليمُ !

بسمِ اللهِ الذي لا يضُرُّ مع اسمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السّماءِ وهو السّميعُ العليمُ !

بسمِ اللهِ الذي لا يضُرُّ مع اسمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السّماءِ وهو السّميعُ العليمُ !

اللهمَّ إني أسألُك باسمِك الأعظمِ ، ياذا الجلالِ والإكرامِ ، أن تستجيبَ لدعائي ، وتُحقّقَ رجائي ، فأنتَ نِعْمَ السّميعُ ونِعْمَ الْمُجِيبُ !

يامن يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاهُ ، ويُحقّقُ للسائلِ ما رجاهُ !

اللهمَّ أَلهِمْني رُشْدِي ، وقِنِي شرَّ نفسي ، اللهمَّ قوِّ سمعي وبصَري وقلبي ، واسترْنِي ولا تَفْضَحْني !

اللهمَّ احفظْ أولادي وأهلَ بيتي ، واجعلهم مسلمين أتقياءَ صالحين ، مُوَفَّقِين مُتَفَوِّقين ، هادين مهديِّين ، ياربَّ العالمين !

اللهمَّ احفظنا من كلِّ شرٍّ ، ومن كلِّ سُوءٍ ، فأنتَ خيرٌ حافظًا وأنتَ أرحمُ الرّاحمين !

اللهمَّ اشفِنا أنتَ الشّافي ولا شِفاءَ إلاّ شِفاؤُك ، شِفاءً لا يُغادِرُ سَقَمًا أبدًا يارَبَّ العالمين !

آمين آمين ، وسلامٌ على الْمُرْسَلين ، وصلّى اللهُ على سيِّدِنا محمدٍ ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ !!

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الكاتب في سطور :

- من مواليد القاهرة عام ١٩٣٦ .
- حصل على دبلوم المعلمين الخاص عام ١٩٥٨ ، والدراسات التدريبية التكميلية بكلية المعلمين عام ١٩٦٤ .
- تخرّج في معهد الإعداد والتوجيه بجامعة الأزهر عام ١٩٦٥ .
- درس البرنامج التدريبي لمعلمي اللغة الإنجليزية بالجامعة الأمريكية عام ١٩٧٤.
- شارك في العمل الفدائي ضد الإنجليز في منطقة القنال عام ١٩٥١ ، ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره ، وشارك في نفس العمل الفدائي عام ١٩٥٣ ، كما شارك في مقاومة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .
- عمل مدرسًا للغة الإنجليزية في محافظتي الدقهلية والقاهرة منذ عام ١٩٥٨ .
- تدرّج في وظائف التربية والتعليم حتى أصبح مديرًا لإدارة التعليم الخاص بإدارة عابدين التعليمية بالقاهرة .
- شارك في العمل النقابي منذ عام ١٩٦٤ .
- أصبح نقيبًا للمعلمين في إدارة عابدين التعليمية في دورة عام ١٩٩٣ ، وفي دورة عام ١٩٩٧ ، وفي دورة عام ٢٠٠٠ .
- كان أوّلَ من حصل على لقب " المعلم المثالي " في مصر عام ١٩٦٥، في محافظة الدقهلية .
- حصل على لقب " المعلم المثالي " على مستوى الجمهورية عام ١٩٧٤ .
- نال تكريم وزارة التربية والتعليم باعتباره من الروّاد الأوائل للتعليم ، في أعوام ١٩٩٦ و ١٩٩٧ و ١٩٩٨ و ١٩٩٩ و ٢٠٠٠ .
- كما نال تكريم نقابة المهن التعليمية باعتباره من روّاد العمل النقابي في أعوام ١٩٩٦ و ١٩٩٧ و ١٩٩٨ و١٩٩٩ و ٢٠٠٠ .
- مارس فن التمثيل والإخراج المسرحي لعدّة سنوات .

- حصل على جائزة التفوّق الممتازة في التمثيل الصامت من جامعة عين شمس عام ١٩٥٨ .
- قدّم عدّة عروض مسرحية من تأليفه وإخراجه بمدينة " مرات " بالمملكة العربية السعودية بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٠ .
- كتب العديد من القصص والمسرحيات والأغاني والأزجال .
- كتب عدّة مقالات في بعض الجرائد والمجلات المصرية ، وفي جريدة " صوت السلام " وجريدة " بلادي " في ولاية نيو جيرسي بالولايات المتحدة الأمريكية
- من مؤلفاته :كتاب " نِهاية إسرائيل في القرآن الكريم — بين النبوءة والأرقام "
- وكتاب" دمار أمريكا قادم قادم — في الكتب السماوية "
- وكتاب " صرخات مكتومة " .
- وكتاب " صرخات في الهواء الملوّث " .
- وكتاب " للشرفاء فقط .. (مجموعة قصصية)
- وكتاب " المتفوقون في مدرسة محمد بن عبد الله " .
- وكتاب " عرفتُ الله .. فأحببتُه !! " .

رقم الإيداع ١٨١٧٨ / ٢٠٠٢